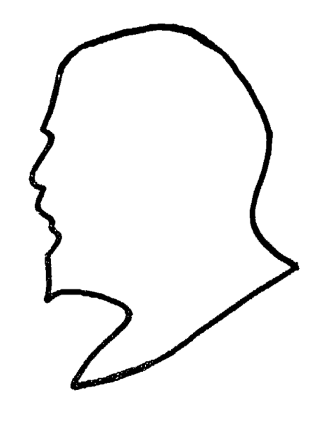


دراسات

اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفييتى

بمناسبة العيد المئوى لميلاد

فلاديمير إيليتش لينين



دراسات

اللجنة المركزية للحزب الشيوعى

للاتحاد السوفييتى

بمناسبة العيد المئوى لميلاد

فلاديمير إيليتش لينين

دراسات

اللجنة المركزية للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى

بمناسبه العيـد المئوى لميـلاد فلاديمير ايليتش لينين

يوافق يوم الثانى والعشرين من ابريل عام ١٩٧٠ العيـــد المئوى لميلاد فلاديمير ايليتش أوليانوف ـ لينين ، الذى واصـل بشكل لماح التعاليم الثـورية لكارل ماركس وفردريك انجلز ، ومؤسس الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى ، وقائد أعظم ثورة اجتماعية ، ومهندس أول دولة اشـتراكية فى العـالم ، وقائد الطبقة العاملة العالمية وكل الكادحين .

ان مرحلة ثورية كاملة فى تاريخ البشرية ترتبط باسم ونشاط لينين ، ذلك الرجل الذى أعطى اجابات لأكثر المشـاكل التى وضعها التاريخ الحاحا ، وطور نظرية الثـورة الاشتراكية وبنـاء المجتمع الشيوعى تطويرا شاملا ، وأمد الحـركة الثورية الروسية والعالمية باستراتيجية وتكتيكات ترتكز على العلم ، وتصدر نضال الطبقة العاملة من أجل ترجمة المثل الاشتراكية الى الحياة . ان الاشتراكية التى تحولت على يد ماركس وانجلز من يوثوبيا الى علم ، وزادها لينين ثراء باستنتاجات واكتشافات جديدة ، قد تجسدت فى الممارسة العمليه على نطاق العالم ، ونمت الى القوة الثورية الرئيسية فى عصرنا .

لقد طور لينين وأثرى التراث النظرى لاساتذته العظام فيما يتعلق بالظروف التاريخية الجديدة ، وناضل بلا هوادة ضـد محاولات تحويل مذهب ماركس انجلز الى صيغة جامدة ميتـة . وهو الذى قال : « اننا لا ننظر الى نظرية ماركس باعتبارها شيئا كاملا ومقدسـا ، وعلى العكس ، اننا مقتنعون انها قد وضعت فقط حجر الاساس للعلم الذى يجب على الاشتراكيين تطويره فى كل الاتجاهات اذا ما أرادوا أن يلاحقوا الحياة » . (الاعمال الكاملة ، الطبعة الانجليزيه ، المجلد الرابع ، ص ٢١١) . وكان لينين يرى فى التطور الخلاق للماركسية شرطا أساسيا كى تظل مذهبا ثوريا فعالا ، ومفتاحا لحل المهام النظرية والعملية الملحة للطبقة العاملة ، ووسيلة هامة فى النضـال ضـد الانتهازية اليمينية واليسارية ، وضـد الجمود والمراجعـة فى كافـة أشكالها .

ان ف.ا لينين قائد سياسى من طراز جديد ، انه أستاذ وزعيم وداعية ومنظم الجماهير العريضة للشعب . وتتلخص صفاته البارزة فى عمق نظرته العلمية فى تحليل الاحداث ، وفى تقديره السليم لعلاقات القوى الطبقية وتوزيعها ، وفى ثباته واصراره فى الدفاع عن مبادىء الماركسية ، وفى أعماله الهادفة ، ومرونته فى تكتيكات النضال ، وتفانيه فى العمل من أجل مصالح وأهداف الحركة البروليتارية .

وكان لينين يربط ربطا وثيقا بين الصياغة النظرية والسياسة العلمية ، وبين دراسة وتلخيص التجربة التى اكتسبها الشعب فى نضاله .. لقد تأمل تجارب الملايين وخرج منها بأجابات على المشاكل الرئيسية لحركة الطبقة العاملة . ولما كان لينين رجل الاستراتيجية والتكتيك الذى لا يبارى للصراع الطبقى للبروليتاريا ، فقد كان على صلات وثيقة مع الجماهير العاملة ، يبدأ من مصالحهم الحيوية ، ويشعر على الدوام بنبض الحياة بين الشعب ، ويدرس باهتمام التكوين النفسى الاجتماعى للعمال والفلاحين ، ولكل فئات المجتمع ، ويضع كل ذلك فى اعتباره عندما يصوغ الحلول السياسية .

كانت حياة لينين حياة فذة . فلقد جمعت بين عمله العقلى الخلاق ونشاطه الثورى الذى لا يفتر ، ونضاله الايديولوجى والسياسى . وكان لينين تجسيد الأبرز صفات الثورى البروليتارى .. كان راجح العقل ، ذا عزيمة لاتقهر ، وكراهية لاحد لها للعبودية والاضطهاد ، وحماس ثورى ، وروح اممية أصيلة ، وايمان لا يتزعزع فى القوى الخلاقة للشعب ، وكفاءة تنظيمية لا حد لها . ان حياة لينين ونشاطه قد التحمت مع نضال الطبقة العاملة الفعالة والحزب الشيوعى .

وقد اثر نشاط لينين وتعاليمه تأثيرا هائلا على حركات التحرر سواء فى روسيا أو على نطاق العالم ، وهو الذى بلور لها مطمحا ايديولوجيا وتنظيما ثوريا .

واللينينية هى الماركسية فى مرحلة الامبريالية والثورات البروليتارية ، مرحلة انهيار الاستعمار وانتصار حركات التحرر الوطنى ، مرحلة انتقال البشرية من الراسمالية الى الاشتراكية

وبناء مجتمع شيوعي . « ان خبرة الحركه الاشتراكيه الدولية، وحركة الطبقة العاملة ، وحركات التحرر الوطني قد أكدت المغزى الدولى للماركسية اللينينية » كما يقول بيان الاجتماع الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية بمناسبة العيد المئوى لميلاد لينين . « ان انتصار الثورة الاشتراكية فى عدد من البلدان وظهور النظام العالمى للاشتراكية ، ومكاسب حركة الطبقة العاملة فى البلدان الراسمالية ، وبداية النشاط الاجتماعى والسياسى المستقل لشعوب المستعمرات السابقة ، والتصاعد الذى لم يسبق له مثيل للنضال المعادى للامبريالية ، كل ذلك دليل على الحقيقة التاريخية للينينية باعتبارها مذهبا يعبر عن الحاجات الأساسية لعصرنا » .

ان الشيء الرئيسى فى نظرة لينين للعمليات والتطورات الاجتماعية يتمثل فى الوحدة العنصرية بين الموضوعية العلمية وبين التقييم المبدئى لهذه الظواهر من مواقع الطبقة العاملة وقد امدت اللينينية الماركسيين اللينينيين وكل الثوريين حقا بمناهج للتفكير الثورى والعمل الثورى . وهى تثرى على الدوام نتيجة للخبرات التى اكتسبها الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى والحركة الشيوعية الدولية فى البناء الاشتراكى والشيوعى ، ونتيجة للممارسة الحية للحركة الثورية .

ان الأحزاب الشيوعية ، مرتكزة على تراث لينين الأيديولوجى ، تواصل عملها الخلاق فى كافة الميادين ، ونضالها الذى لا يعرف مهادنة ضد الايديولوجية البرجوازية الحديثة ، وضد التحريفات المراجعة للنظرية الثورية الى اليمين أو الىاليسار . انالماركسية اللينينية مذهب أممى عظيم . وأى محاولة لتخريب وحدة الماركسية اللينينية ، وتقسيمها بشكل مصطنع الى « تيارات » قومية أو اقليمية مختلفة ، تنتهى حتما الى مراجعة مبادىء المذهب الثورى للطبقة العاملة الذى يشكل بطبيعته كلا واحدا ، والذى هو ملك لكل الشيوعيين والعمال الثوريين والجماهير الكادحة .

ان الشعب السوفيتى ، وشعوب البلدانالاشتراكية ، والطبقة العاملة العالمية ، وكل التقدميين من الرجال والنساء ، وهم يرقبون العيد المئوى لميلاد لينين ، يظلون ملتصقين بأفكار وأعمال

قائد البروليتاريا وكل الجماهير العاملة فى العالم ، كثورى عظيم، وشيوعى سار على رأس القوى التى تجرى اصلاحات اجتماعية جذرية لصالح الشعب العامل .

ان الشعب السوفيتى ، وشعوب البلدانالاشتراكية ، والطبقة العاملة العالمية ، وكل الناس التقدميين ، وهم يرقبون العيد المئوى لميلاد لينين ، يعبرون عن اعجابهم المخلص بالمفكر اللامع . فلقد كن لينين عظم أساتذة الثورة ، كان ثوريا ارتكز على العلم وفتح مرحلة جديدة فى تطور الماركسية وأثرى كل الفروع التى يتكون منها هذا المذهب . من الفلسفة الى الاقتصاد السياسى ، الى الشيوعية العلمية .

ان الشعب السوفيتى ، وشعوب البلدان الاشتراكية ، والطبقة العاملة العالمية ، وكل المناضلين الثوريين ، وهم يرقبون اليوم العيد المئوى لميلاد لينين بعيدون تنظيم قواهم ، ويحددون آفاق وواجبات النضال ، ويدعمون وحدتهم النضالية فى الكفاح من أجل السلم والديموقراطية والاشتراكية .

***

١ - ف . ا . لينين - مؤسس حزب من طراز جديد للبروليتاريا ، ونظرى الثورة الاشتراكيه وقائدها

١ - مع مطلع القرن العشرين دخلت الراسمالية العالمية مرحلتها الاخيره ، المرحلة الامبريالية . واصبح الانتقال الثورى من الراسمالية الى الاشتراكيه ضرورة ملحةللتطور الاجتماعى . لقد حلت نقطة تحول فى تاريخ العالم . وبرزت البروليتاريا الدولية كقوة اجتماعية تواجه رسالة ، وتمتلك القدرة على تزعم النضال من اجل القضاء على استغلال الانسان للانسان ، ومن أجل اجراء تحولات جذرية فى الحياة الاجتماعية . وكان من نصيب الفصيلة الروسية فى البروليتاريا الدولية ، حزب البلاشفة الذى اسسه لينين ، أن تبدأ انجاز هذه الرسالة النبيلة . ان حركة الطبقة العاملة العالمية بامتلاكها للينينية التى تلخص تجربة حركة العمال بعد ماركس وانجلز ، والتى خلقت اشكالا جديدة لنضال البروليتاريا وتنظيمها ، انما تمتلك سلاحا نظريا قويا ، وايديولوجية شاملة ، وبرنامجا للعمل الثورى .

كانت روسيا فى مطلع القرن العشرين بؤرة تناقضات العـالم الامبريالى . لقد عرفت انـ ذالك كل التناقضات الاقتصادية والاجتماعية التى تميزعالم ذلك العصر بين العمل ورأس المال كما عرفت نمو الراسمالية ، وبقايا نظام الرق الاقطاعى ، والمناطق الصناعية المتطورة للغاية وما يحيط بها من منـاطق متخلفة مترامية . وازدادت حدة هذه التناقضات بشكل خاص نتيجة للاضطهاد السياسى والثقافى والقومى الذى مارسته الارستقراطية العنصرية

ان المشاكل الاجتماعية التى واجهت البلاد ، من القضاء على العبودية التى فرضـها ملاك الاراضى ، الى تحرير الشـعب العامل من عبودية رأس المال والاضطهاد القومى ، الى الحاجة الى اصلاحات اشتراكية ، كانت هى نفس المشاكل الرئيسية فى كثير من الدول الاخرى .

كانت روسيا بلدا ذا تطور راسـمالى متوسط ينمو باطراد الى مرحلة الاحتكار ، وكانت التناقضـات الحادة سـمة مميزة لواقعها . كانت بلدا رراعيا غالبيته من السكان الزراعيين ولكنه يشهد فى نفس الوقت درجة عالية من تركز الانتاج الصناعى ، والتنظيم الثورى للطبقة العاملة . وبوصفها احدى الدول الكبرى فقد كانت عضوا فى الكتل الامبريالية المتصارعة ، رغم أنها ظلت تابعة للدول الرأسمالية الاكثر تطورا . وقدمت الثقافة الروسية نماذج كلاسيكية فى الآداب والفنون والعلوم . وفى نفس الوقت كان ثلاثة أرباع السكان من الأميين .

وبذلت القيصرية وكبار الملاك والدوائر البرجوازية كل ما فى وسعها من أجل المحافظة على نظام العلاقات الاجتماعيـة الذى عفى عليه الزمن . وكان العمال الواقعون تحت الاستغـلال الوحشى لرأس المال ، والفلاحون الذين يضطهدهم ملاك الاراضى ، والشعوب المضطهدة فى المناطق القومية المترامية ، ينهضـون للنضال ضد النظام البرجوازى الاقطاعى . وبرهنت روسيا على انها أضعف حلقة فى نظام الامبريالية العالمى . وفى مثل هـذه الظروف اتخذ نضال الطبقة العاملة من اجـل تطور ديموقراطى واشتراكى مغزى تاريخيا عالميا . وعلى حد تعبير ماركس وانجلز ، كانت روسيا كتيبة متقدمة فى الحركة الثورية الاوروبية .

وقامت الطبقة العاملة ، باعتبارها القوة الثورية الرئيسية فى المجتمع ، بتعبئة كل المستغلين حول نفسها ، وطورت على نطاق واسع النضال ضد الاوتوقراطية القيصرية والبرجوازية . وكانت البروليتاريا المتركزة فى مؤسسات ضخمة فى المناطق الصناعية تمر بتجربة غنية من التمرس الثورى تحت قيادة الحزب الماركسى . وقد نجحت فى التغلب على الاتجاهات الاصلاحية والغريبة . وتمثلت بشكل ناجح التجربة والتقاليد الثورية المثلى للبروليتاريا العالمية فى مجرى المعارك الطبقية الحادة .

وأمكن للبروليتاريا الروسية منذ الخطوات الاولى لنضالها السياسى أن ترتكز على نظرية علمية لحركة التحرير ، نظرية ماركس وانجلز . وكانت روسيا اذ ذاك ناضجة لاستيعاب وتطبيق الماركسية نظرا لتطورها الاقتصادى والاجتماعى ، وامتداد التناقضات الطبقية ، والتقاليد الثورية التى ولدتها هبات الفلاحين وأعمال ا . ن . راديشيشيف والديسمبريين ، أ.أ. هيرزن ، ن.ج. تشيرنتشفسكى ، وغيرهم من ديموقراطى الستينيات والنارودنيك (الشعبيين) الثوريين فى سبعينيات القرن الماضى .

ولقد بدأ الماركسيون الروس الأوائل تحت قيادة ج.ف. بليخانوف فى الثمانينيات عملا نشيطا من أجل نشر الأفكار الماركسية . وقام خيرة ممثلى المثقفين الثوريين جنبا الى جنب مع أكثر العمال وعيا سياسيا بربط الافكار الماركسية بحركة الطبقة العاملة .

ويرجع الفضل فى ربط الاشتراكية العلمية بالحركة الجماهيرية للعمال ، وتطوير النظرية الماركسية فى ظروف جديدة ، وتجسيدها فى ممارسة الثورة الاشتراكية والبناء الاشتراكى ، الى حزب البلاشفة الذى قاده لينين .

٢ — آمن لينين بأن تشكيل وتدعيم حزب ثورى للطبقة العاملة شرط حاسم لنجاح الثورة الاشتراكية ، وكان يرى فى حزب البروليتاريا اداة قومية قادرة على تغيير روسيا .

وسبق تكوين الحزب نشاط أيديولوجى ونظرى واسع النطاق من قبل لينين ، فقام بنقد اشتراكية البرجوازية الصغيرة التى نادى بها النارودنيك ، وشن نضالا لا هوادة فيه ضد الاصلاحية

وضد غيرها من الاتجاهات الانتهازية . ولو لم يكن لينين قد قام بهذا العمل فى سبيل نقاء الماركسية ، لما أمكن ربطهـــا بحـــركة التحرير ، ولما أمكن رسم خط طبقى مستقل محدد للبروليتاريا.

كان تأسيس حزب البلاشفة ، كحزب من طراز جديد ، يعنى انتصارا لاتجاه ماركسى ثورى حقا فى حركة العمال فى روسيا . فلأول مرة فى تاريخ الحركة الاشتراكية الدولية يتضمن برنامج حزب للطبقة العاملة المطلب الخاص باقامة دكتاتورية البروليتاريا ، كضرورة لبناء مجتمع جديد ، سبق أن برهن عليها نظريا ماركس وانجلز ، ثم دلل عليها لينين بدرجة أعمق . وقاد هذا الحزب نضال البروليتاريا الروسية والجماهير الثـورية ضد الاوتوقراطية القيصرية والرأسمالية .

ولخص لينين الخبرة الواسعة للحركة الثورية عندما صاغ فى مؤلفاته « ما العمل ؟ » و « خطوة الى الامام وخطوتان الى الخلف » وفى غيرهما ، نظرية متكاملة عن حزب البروليتاريا كحزب من طراز جديد . فلقد أشار الى أن الحزب يجب أن يكون طليعة للبروليتاريا ، كتيبتها المنظمة وأرقى أشكال تنظيمها السياسى . وهذا الحزب مدعو للمساعدة فى تقرير مصير الطبقة العاملة ، وتحقيق وانجاز رسالتها العالمية التاريخية . وشدد لينين على أنه لا يمكن أن توجد حركة ثورية دون نظرية ثورية ، وعلى أن حزبا مسلحا بنظرية متقدمة هو وحده القادر على تحقيق رسالته باعتباره فصيلة صدام امامية .

وقد رفض لينين والبلاشفة تحويل الحزب الى ناد للنقاش ، الى مجرد تجمع للتكتلات والفرق . وكان الشرط الحاسم لقوة الحزب فى نظر لينين هو فى تراص صفوفه ، وفى عدم سماحه بالأعمـــال التى ترمى الى تخـــريب وحـــدته واضعاف انضـــباطه الحديدى .

تأسس الحزب البلشفى ، ونما وتطـور كحـــزب للامميين البروليتاريين حقا . وترجع عمق أمميتـــه الى أيديولوجيته ، وتكوينه ، والى طبيعة نشاطه . وكان الحزب البلشفى الذى وحد بين صفوفه بروليتاريا بلد متعدد القوميات ، منذ نشأته جزءا لا ينفصل من كتيبة موحدة مناضلة للحركة الشيوعية الدولية .

وتمثلت أكثر المهام تعقيدا التى كان على حزب البلاشفة أن يحسمها تحت قيادة لينين ، فى صياغة وتحسين أساليب ووسائل نضال الطبقة العاملة ، وتجهيز الحزب باستراتيجية وتكتيكات ثورية . وقد عمل لينين بلا كلل من أجل تنظيم حزب بروليتارى مناضل . وكشف بلا رحمة المواقف الانتهازية للاحزاب الدولية الثانية التى كانت تتحـول الى أحزاب للاصلاحات الاجتماعية ، وتربط نفسها بالنظام السـياسى للمجتمع البرجوازى ، وتقصر نشاطها على الأساليب القانونية والبرلمانية بالدرجة الأكبر ، وضرب البلاشـفة مثلا فريدا على الربط بين أسـاليب النضال القانونية والسرية ، البرلمانية وغير البرلمانية ، السلمية وغير السلمية ، واستخدموها بمرونة فائقة على ضـوء الظروف . ولم يرفض البلاشفة النضال من اجل الاصلاحات ولكنهم على الدوام اخضعوا مثل هذا النضال ، كما اخضعوا كل اعمالهم الأخرى ، لهدف الاعداد للثـورة .

وكان لينين يضع في اعتباره النضـال على جبهتين ، ضد الأشكال « اليمينية » و « اليسارية » للانتهازية والمراجعة ، كشرط لا غنى عنه من أجل نشاط ناجح للحزب الماركسى ، ومن أجل تطوير حركة الطبقة العاملة وانتصاراتها .

وطوال نشاطه الثورى كان لينين مناضلا لا يلين ضد الاتجاهات التى استخدمت راية الماركسية كمجرد قناع بينما هى فى الواقع معادية للاشتراكية العلمية ، واخضع الطبيعة البرجوازية الليبرالية لاصلاحية « الماركسيين القانونيين » و « الاقتصاديين » للنقـد الدقيق . وشن لينين والحزب ، مدافعين عن المبادىء الثورية للماركسية ، نضالا لا يعرف الكلل ضـد المنشفية أخطـر اتجـاه انتهازى فى حركة الطبقة العاملة الروسية ، ونقدا بشدة انتهازية الجناح اليمينى من قادة الاشتراكية فى المجال الدولى . وفى نفس الوقت رفض لينين بشدة « الثورية الزائدة » البرجوازية الصغيرة التى تتجاهل الظروف الواقعية للصراع الطبقى ، وتجر البروليتاريا الى مغامرات سياسية تؤدى بحركة الطبقة العاملة الى الهزيمة .

وكان تأسيس الحزب البلشفى بداية مرحلة جديدة فى حركة الطبقة العاملة الروسية والدولية . فلأول مرة تمتلك البروليتاريا

تنظيما قادرا على قيادة نضالها بنجاح من أجل التحرر الاجتماعى فى الظروف التاريخية الجديدة .

٣ ـ تطلبت المرحلة التى دخلت فيها الرأسمالية مرحلتها الامبريالية والتى اتخذت فيها الحركة البروليتارية طابعا جماهيريا ، مزيدا من تطوير النظرية الماركسية ، وذلك من أجل صياغة الاستراتيجية والتكتيكات الثورية التى تتفق والظروف التاريخية الجديدة .

وقد أوضح لينين فى كتابه الأساسى « تطور الرأسمالية فى روسيا » اتجاه التناقضات الاقتصادية والاجتماعية الى الاحتداد فى المدينة والريف وذلك من خلال مقارنته بين واقع روسيا الاقتصادى واتجاهات الرأسمالية العالمية ، وحلل بشكل دقيق التغييرات فى الهيكل الطبقى للمجتمع وحدد الحلفاء الحقيقيين للبروليتاريا فى الثورتين البرجوازية الديموقراطية والاشتراكية . وأوضح بشكل قاطع أن الفلاحين سيلعبون دورا هاما للغاية فى النضال الثورى جنبا الى جنب مع الطبقة العاملة القوة الرئيسية المحركة للثورة .

واشار لينين الى ان فقراء الفلاحين ، بحكم مركزهم الاجتماعى والنضال من أجل القضاء على الملكية الاقطاعية ، لهم مصلحة موضوعية لا فى الثورة البرجوازية الديموقراطية فحسب ، وانما كذلك فى التطويح بسلطة رأس المال ، اذ ان الاشتراكية وحدها هى التى يمكن ان تقدم حلا جذريا للمشكلة الزراعية . وقد درس لينين الاتجاهات الرئيسية للتطور الرأسمالى فى الزراعة فى العالم ، ولعملية الانقسام الطبقى فى الريف ، وحدد موقف الطبقة العاملة نحو الفئات المختلفة من الفلاحين فى المراحل المختلفة من الثورة ، وخلق بذلك نظرية وبرنامجا شاملا للمشكلة الزراعية .

وفى كتابه « تكتيكان للاشتراكية الديموقراطية فى الثورة الديموقراطية » وفى كتاباته الأخرى ، وعلى أساس تحليله لتجربة ثورة ١٩٠٥ فى روسيا وحركة الطبقة العاملة فى أوروبا ، برهن لينين على أنه من الآن فصاعدا تنتقل قيادة النضال من أجل التحرر الى البروليتاريا ، وعلى ان قيادة البروليتاريا للثورة البرجوازية الديموقراطية بتحالفها مع الفلاحين ككل ستنمو حتما الى قيادة

البروليتاريا للثورة الاشتراكية متحالفة مع فقراء الفلاحين وكل الجماهير المستغلة فى المدينة والريف . وقد كتب يقول « .. فمن الثورة الديموقراطية سننتقل فورا .. الى الثورة الاشتراكية . اننا من انصار الثورة الدائمة . ولن نقف فى منتصف الطريق » .

وسحت هده النتيجة الفكرة الجامده الاشتراكية الديموقراطية التعليديه التى تقول بأنه سيترتب على الثورة البرجوازية سيطرة راس المال لفترة طويلة . فقد أوضح لينين ان حل المهام الديموقراطية والمهام الاشتراكية يتداخلان فى مرحلة الامبريالية ، وتكتسب سياسة البروليتاريا التى تقوم على التحالف مع الطبقات الوسطى من السكان فى النضال من أجل الديموقراطية والاشتراكية اهمية خاصة فى هذه الظروف . وقد أكد تطور الاحداث الثورية فى روسيا وفى غيرها من البلدان نبوءة لينين .

واسدى لينين خدمة للتاريخ بصياغته لنظرية عملية عن الامبريالية وتناقضاتها وقوانينها . ويعتبر تحليل لينين فى كتابه « الامبريالية أعلى مراحل الراسمالية » ، وفى مؤلفاته الأخرى ، استمرارا مباشرا لأفكار ماركس فى « رأس المال » ، وتطويرا لها . لقد برهن لينين على أن مرحلة الاحتكار لراس المال هى آخر مراحله ، وعشية الثورة الاشتراكية . ومكنه تحليله الشامل للمرحلة الجديدة فى تاريخ العالم من أن يحدد الامكانيات الهائلة للحركة الثورية فى عصر الامبريالية .

وبعد أن كشف لينين قانون النمو الاقتصادى والسياسى غير المستوى للرأسمالية فى مرحلتها الامبريالية وصل الى النتيجة القائلة بأن البلدان المختلفة ستصل الى الاشتراكية فى ازمنة مختلفة ، وأنه ليس من الضرورى أن تتحطم جبهة الامبريالية فى بلد على أعلى مستوى من التطور . وكان ذلك الاستنتاج كلمة جديدة فى علم الماركسية . فلقد غير جذريا الفكرة القائمة عن شروط انتصار نظام جديد ، وفتح آفاقا واضحة للنضال امام البروليتاريا الروسية والدولية . وفى ذلك الوقت استطاع لينين أن يتنبأ بمجرى العمليات الرئيسية للتطور الاجتماعى كنتيجة لانتصار الاشتراكية فى بلد واحد أو فى عدد من البلدان ، وبحتمية الصراع بين النظامين فى المجال الدولى .

ودرس لينين بعناية مشكلة القوميات ، وطورها بما يتناسب والظروف التاريخية الجديدة ، وقدم وبلور فكرة ربط الصراع

الطبقى للبروليتاريا بالنضال من أجل القضاء على القهر القومى ، وربط النضال من اجل الاشتراكية بالنضال التحريرى المعادى للامبريالية للشعوب المضطهدة .

وتطلبت الحاجة الى فهم العمليات التاريخية الجديده وتطوير مناهج الماركسية ، بالاضافة الى مهام الصراع الايديولوجى ، أن يقوم الحزب البلشفى وقائده بتحليل احدث المسائل الفلسفية تحليلا دقيقا . وفى كتابه « المادية والنقد التجريبى » وفى غيره من المؤلفات طور لينين وأثرى الأفكار التى احتوتها أعمال ماركس وانجلز حول المادية الجدلية والتاريخية . وقدم لينين « تصنيفا » فلسفيا للمسائل العلمية الجديدة التى تراكمت بعد ماركس وانجلز ، ودافع عن المبادىء الأساسية لنظرة الماركسية للعالم ولمنهجها ، وطورها ، ونقد فى تفصيل كبير المفهومات المثالية والميتافيزيقية .

وتعتبر جهود لينين لصقل الديالكتيك المادى ، ودراسته للنظرية المادية الجدلية فى المعرفة ، وفكرته عن وحدة العلوم الطبيعية مع الفلسفة ذات أهمية لا تقدر . وقد كان لينين أول مفكر فى القرن الذى عاش فيه يرى فى انجازات العلوم الطبيعية لعصره بداية ثورة علمية هائلة ، واستطاع أن يكشف ويقدم تعميما فلسفيا للمدلول الثورى للاكتشافات الهامة التى قدمها مكتشفو الطبيعة العظام . وخرج بتفسير لماح للمعلومات العلمية الجديدة فى فترة « تنهار فيها المبادىء » فى المجالات الرئيسية للعلوم الطبيعية وأصبحت فكرته عن عدم فناء المادة المبدأ العام للمعرفة فى العلوم الطبيعية .

ودرس لينين بشكل شامل ديالكتيك التطور الاجتماعى ، والتأثير المتبادل بين الاقتصاد والسياسة ، والعلاقة المتبادلة بين الوجود الاجتماعى والوعى الاجتماعى وكثير من المسائل الأخرى . وارتبطت جهود لينين فى دراسة وحل مشاكل التطور الاجتماعى ارتباطا وثيقا باحتياجات التطبيق الثورى والصراع الايديولوجى .. وكان نقده للذاتية فى الفلسفة والاجتماع ضربة قاضية للمنابع الايديولوجية للارادية السياسية والمغامرة . وكان هجوم لينين على المفهومات القدرية والتلقائية باعتبارها الأساس النظرى لتكتيكات الجناح اليمينى للانتهازية ذا أهمية بالغة .

وربط لينين باستمرار بين عمق التحليل العلمي للظروف التاريخية ، وبين التسليم القاطع بأهمية النشاط الثورى ، والمبادرة ، والوعى الطبقى ، وتنظيم الجماهير والطبقات والأحزاب والأفراد كذلك ، مشيرا الى الدور الحاسم للظروف الموضوعية ولاتجاهات التطور الاجتماعى . واكتشف عقله الجدلى امكانيات جديدة للتعجيل بالعملية الثورية ، ترتبط بتأثير العامل الذاتى فى الظروف التى تنضج فيها بالفعل الشروط العامة اللازمة لتحل الاشتراكية محل الرأسمالية ، ويعلمنا لينين انه فى مثل تلك الظروف يصبح استعداد الشعب العامل وقدرته على العمل الثورى ووعيه الطبقى وتنظيمه وخبرته فى النضال شرطا حاسما لنجاح الثورة .

٤ ــ ان الدور الثورى التغييرى للنظرية الماركسية اللينينية ووحدتها مع الممارسة الثورية فى نشاط الحزب البلشفى وعلى راسه لينين قد تجلى بشكل واضح فى انتصار ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى .

لقد أطاحت ثورة فبراير بالأوتوقراطية القيصرية وتمخض عنها اقامة سلطة البرجوازية ، وواجهت الطبقة العاملة عمليا مهمة التقدم نحو مرحلة جديدة من النضال ، مرحلة كسب السلطة السياسية والنضال من أجل الاشتراكية . وسلح لينين الحزب والطبقة العاملة بخطة محددة للانتقال الى الثورة الاشتراكية . ففى رسالة أبريل ، وفى الوثائق التى أعدت لكونفرنس ابريل ولمؤتمر الحزب السادس ، وفى مقالاته وبياناته ، قدم لينين شعارات استراتيجية وتكتيكية ذات قدرة هائلة على التعبئة . واشار الى « أن القسمات المميزة للوضوع الراهن فى روسيا هى أن البلاد تنتقل من المرحلة الأولى للثورة التى وضعت السلطة فى أيدى البرجوازية نتيجة نقص وعى وتنظيم البروليتاريا ، الى مرحلتها الثانية التى لا بد أن تضع السلطة فى يد البروليتاريا وأفقر فئات الفلاحين » (المجلد ٢٤ ، ص ٢٢ الطبعة الانجليزية) .

وكان البلاشفة يتقدمون صوب الثورة الاشتراكية ببرنامج واضح ومحدد لمنع حدوث كارثة دولية تتعرض لها البلاد نتيجة للسياسة الاجرامية للقيصرية والطبقات المستغلة ، وبرز البلاشفة لا كحزب لتحطيم المجتمع القديم فحسب وانما لبناء مجتمع

جديد . وأصبحت مؤلفات لينين « الدولة والثورة » و « الكارثة التى تهددنا وكيف نتغلب عليها » ، « هل فى مقدور البلاشفة أن يحتفظوا بسلطة الدولة ؟ » وغيرها من كتاباته فى تلك الفترة ، بالنسبة للحزب ، برنامجا فعالا للتغييرات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

ان وضوح توجيهات البرنامج والجدية فى تنفيذها قد ساعد البلاشفة على تحرير قسم هام من اتباع المناشفة والاشتراكيين الثوريين من نفوذ هذين الحزبيين المتهادنين ، وعلى كسب اغلبية الشعب العامل الى جانبهم ، وعلى بناء جيش سياسى للثورة الاشتراكية . والتحم نضال الطبقة العاملة من أجل الاشتراكية مع الحركة التى شملت الأمة تطالب بالسلام ، ومع نضال الفلاحين من أجل الأرض والنضال التحريرى للشعوب المضطهدة فى روسيا لتصب جميعا فى مجرى واحد .

وفى الفترة ما بين فبراير وأكتوبر عام ١٩١٧ ضرب الحزب البلشفى وعلى رأسه لينين مثلا فى استخدام الأشكال والأساليب المختلفة للصراع الطبقى ، وفى قدرته على ربط وتغيير واختيار أكثرها فعالية فى كل لحظة . وقدم لينين بتطبيقه الشامل للنظرية على الوضع الثورى والهبة المسلحة مساهمة بارزة فى النظرية الماركسية .

وقاد الحزب الجماهير للقضاء على الرأسمالية عندما توفرت بشكل محدد الظروف الموضوعية والذاتية الضرورية ، وعندما نضجت الأزمة على نطاق البلاد ، وعندما أصبح عقل وارادة وحماس عشرات الملايين من الناس مستعدا بالفعل للعاصفة من خلال تطور الصراع . ووضع الحزب البلشفى تحت قيادة لينين فى التطبيق المطلب الماركسى للنظر الى الهبة باعتبارها فنا .

وقد قدمت ثورة أكتوبر العظيمة للعالم نموذجا للحل الجذرى للمشاكل الاجتماعية : الاطاحة بسلطة المستغلين ، واقامة دكتاتورية البروليتاريا ، وتحويل الملكية الخاصة للبرجوازية وكبار ملاك الأرض الى ملكية اشتراكية عامة ، والحل العادل للمشكلة الزراعية لصالح الفلاحين ، وتحرير الشعوب التابعة من القهر القومى والاستعمارى ، وخلق الشروط السياسية والاقتصادية اللازمة لبناء الاشتراكية .

كانت ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى أول انتصار للثورة الاشتراكية العالمية ، فقد غيرت تغييرا جذريا الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية لاحدى الدول الكبرى ، ودفعت بحركة التحرير الدولية الى مستوى أعلى . « وخطت الطريق الى الاشتراكية أمام العالم أجمع » كما يقول لينين « وبينت للبرجوازية ان انتصارها قد قارب الزوال » . (المجلد ٢٨ ، ص ٤٤ ، الطبعة الانجليزية) . وهكذا بدأ فصل جديد فى تاريخ العالم .

٢ ـ الاشتراكية ـ تجسيد لأفكار اللينينية

ـ٥ ـ بعد انتصار ثورة أكتوبر احتلت المسائل النظرية والعملية للبناء الاشتراكى وآفاق تطور الثورة العالمية مكان الصدارة فى اللينينية . وتمثلت الخدمة التاريخية التى أسداها لينين والحزب البلشفى فى أنهم تزعموا اقامة أول مجتمع اشتراكى فى العالم . وكان البناء الناجح للاشتراكية فى الاتحاد السوفيتى ، وظهور عدد آخر من البلدان على طريق الاشتراكية ، تجسيدا حقيقيا لتعاليم ماركس وانجلز ولينين .

كانت التحولات الثورية فى روسيا بداية التغيير الثورى للبناء الاجتماعى لكوكبنا ، كما خلقت دولة يمكن لحركة التحرير الدولية أن تعتمد عليها . وكان للنموذج السوفيتى تأثير ثورى هائل على بقية أجزاء العالم . وقد قال لينين « انه من الآن فصاعدا ، سيشكل الصراع بين المعسكرين الاشتراكى والرأسمالى محور السياسة الدولية وجميع العلاقات بين الشعوب » .

وكانت المشكلة الصعبة للغاية التى واجهتها الجمهورية السوفيتية فى أيامها الأولى هى تخطى الهوة بين عظم المهام التى تواجهها وبين فقرها المادى والثقافى ، وارساء نظام سياسى متقدم فى البلاد ، واقامة الملكية العامة لوسائل الانتاج الرئيسية . وفى نفس الوقت ، كانت الزراعة السلعية الصغيرة تسود الريف ، وظهرت بوضوح آثار التخلف التكنيكى والاقتصادى الذى ضاعفته النتائج المدمرة للحرب العالمية الأولى والحرب الأهلية والتدخل الأجنبى . وفى هذه الظروف اكتسبت امكانيات وطرق التطور الاشتراكى لبلادنا أهمية خاصة .

آمن ف . ا . لينين بأن بلادنا تمتلك كل ما تحتاجه لبناء مجتمع اشتراكى . وكان يثق الى أقصى الحدود فى القوة التنظيمية

الهائلة لسلطة العمال والفلاحين الجديدة ، وفي الطاقات الخلاقة التي لا تنضب للجماهير الثورية . وفي مؤلفاته « المهام العاجلة للحكومة السوفيتية » و « الشيوعية اليسارية ، طفولة وتفكير برجوازي صغير » و « المبادرة العظمى » و « الاقتصاد والسياسة في عصر دكتاتورية البروليتاريا » و « حول ضريبة الفداء » و « حول التعاون » و « حول ثورتنا » و « كيف يجب أن نعيد تنظيم الرقابة بين العمال والفلاحين » و « القليل افضل ، بشرط ان يكون أفضل » ، قدم لينين فكرته عن مشاكل البناء الاشتراكي ، ودلل عليها بصورة علمية » .

وخرج « الشيوعيون اليساريون » والتروتسكيون المعادون للينين من مواقعهم ليهاجموه . وتقدم « الشيوعيون اليساريون » بمطلبهم المغامر حول التطبيق العاجل للمبادىء الشيوعية دون اعداد الأسس الاقتصادية اللازمة . أما التروتسكيون ، فقد أعلنوا أن روسيا الثورية لا يمكن أن تواجه أوروبا المحافظة ، وأن الاشتراكية لا يمكنها أن تنتصر في الاتحاد السوفيتي الا بقيام ثورة اشتراكية في بلدان الغرب . ورفض الحزب تلك الآراء الاستسلامية ، وتبنى خطة لينين لبناء مجتمع جديد .

وقد علمنا لينين أن جوهر الاشتراكية انما يكمن في انتقال وسائل الانتاج الى أيدي الشعب ، وفي استبدال النظام الاقتصادي الرأسمالي بنظام الانتاج في ظل خطة عامة لصالح كل أفراد المجتمع . ولا يمكن تحقيق مثل هذا الانتقال دون تنظيم ديموقراطي لكل قوى الشعب العامل ، ودون مشاركتهم الفعالة في نشاط الدولة . ان الاشتراكية تفترض العمل دون رأسماليين ، وبالرقابة الصارمة من الدولة والتنظيمات العامة على اجراءات العمل والاستهلاك .

وكان ف.ا. لينين يسخر من الذين يتوقعون ظهور مجتمع حر مثالي خال من التناقضات بين يوم وليلة . ان الاشتراكية نظام جديد من حيث الكيف ، يختلف اختلافا جوهريا عن مجتمعات الاستغلال ، وفي نفس الوقت ، فانها المرحلة الأولى للبناء الشيوعي ، التي تعقب الرأسمالية ، ولذلك فلا تزال تحمل « ملامحها الأولى » . ان تطور الاشتراكية عملية معقدة للانتقال من الأشكال الدنيا لتنظيمها الاجتماعي الى الأشكال الأرقى ،

ويتوقف ذلك « علي ما يمكن أن نسميه مراحل النضوج الاقتصادي للشيوعية » . (المجلد ٢٥ ، ص ٤٧١) .

ان الطبقة العاملة الروسية بمحاولتها حل المهام الخلاقة للثورة ، كانت تسلك طريقا لم يطرقه أحد من قبل ، وواجهت خلاله صعوبات وعقبات لا تصدق . وكان على الحزب الشيوعى ، ملهم ومنظم العمل الخلاق الذى لم يسبق له مثيل ، أن يبحث عند كل خطوة عن حلول للمشاكل التى لم يقدم لها أحد حلا من قبل .

واقيم المجتمع الجديد فى بلادنا التى كانت تعيش وسط حصار واسمالى معاد لها . وحذرنا لينين من أن هذا الحصار الذى يمارس ضغطه العسكرى والسياسى والاقتصادى لن يكف عن محاولاته لاعادة بعث الرأسمالية ، أو على الأقل ، تعطيل نمو الاقتصاد الجماعى وصياغة طريق جديد للحياة ، وتطور الوعى الاشتراكى .

وتعلمنا الخبرة التاريخية أن بناء الاشتراكية عادة ما يواجه مقاومة عنيفة من قبل الطبقات المستغلة المخلوعة ، ومن قبل قوى النظام القديم وتقاليده . وتجد الدولة البروليتارية نفسها مضطرة الى سحق النشاط التخريبى للبرجوازية ولأعداء الاشتراكيه .

وعليها أن تشل تردد البرجوازية الصغيرة فى المدينة والريف ، وتردد جزء من المثقفين القدامى . ولا تقف القوى المباشرة للارتداد وحدها ، وانما يدافع عن تلك الاتجاهات كذلك كل العناصر المراجعة « اليمينية واليسارية » فى الميدان الايديولوجى والسياسى .

وعقب وفاة لينين زادت على وجه الخصوص هجمات المعارضة التروتسكية ضد الحزب ، وضد تراث لينين الايديولوجى .. وكان يؤيدهم ويساندهم صراحة الأعداء المباشرون للسلطة السوفيتية ، وجاء هجومهم فى نفس الوقت الذى شنت فيه أكثر قوى الحصار الراسمالى عدوانية هجماتها . وقد انزلق التروتسكيون فى النهاية الى طريق معاداة الثورة ومعاداة النظام السوفيتى .

وهب الحزب باسره تحت قيادة لجنته المركزيه دفاعا عن اللينبنية . وقام بتعريةالتروتسكية ايديولوجيا وتصفيتها تنظيميا.

كما واجه الانتهازيون اليمينيون الذين راجعوا الخط العام للحزب بروح الايديولوجية البرجوازية والذين وقفوا ضـد معدل عال للتصنيع ، وضد الجماعية فى الزراعة ، وضد القضاء على الكولاك كطبقة ، نفس المصير .

وتنفيذا لوصية لينين ، اجتاز الحزب الشيوعى والشعب السوفيتى طريقا وعرا ومجيدا . وأصبحت الاشتراكية التى برهن على حتميتها مؤسسو الشيوعية العلمية ، والتى يتم بناؤها فى ظل توجيهات لينين ، حقيقة فى الاتحاد السوفيتى .

وكان قيام النظام الاشتراكى العالمى تحولا تاريخيا جديدا فى علاقات القوى الاقتصادية والسياسية لصالح الاشتراكية ، وجاء ذلك تأكيدا عمليا للينينية على نطاق دولى . وكان للجهود البطولية التى قام بها الشعب السوفيتى وشعوب المجموعة الاشتراكية أثرها المباشر فى صياغة وتشكيل واختبار نظام اجتماعى جديد لكل شعوب الأرض .

٦ ــ تعتبر دكتاتورية البروليتاريا الاداه الرئيسية فى بناء الاشتراكية . وهى تساعد الطبقة العاملة والشعب العامل على مقاومة قوة راس المال وعلاقات البرجوازية وخبرتها فى الادارة ، وايديولوجية الملكية الخاصة وسيكولوجيتها بقوة العقيدة والوعى والتنظيم والانضباط البروليتارى .

وقد قام لينين ، بعد تعميمه لتجربة كوميون باريس ، بتطوير وزيادة تحديد تعاليم ماركس وانجلز حول دكتاتورية البروليتاريا . ووضح لينين بعمق الأهمية التاريخية لجمهورية السوفيتات باعتبارها دولة من طراز جديد ، وباعتبارها أكثر ديموقراطية من أى جمهورية برلمانية برجوازية . وقد قال لينين « لو لم يكن الحماس الخلاق للطبقات الثورية قد ادى الى ظهور السوفيتات لكانت الثورة البروليتارية فى روسيا قد أصبحت قضية خاسرة » (المجلد ٢٦ ، ص ١٠٤) .

وبرهنت الدولة السوفيتية فى الواقع العملى على انها سلاح قوى فى تطور الانتاج الاشتراكى المخطط ، ورفع المستوى الثقافى للمجتمع ، والتربية الشيوعية للشعب العامل . سلاح يحمى المصالح العامة والخاصة كما يحمى القانون والنظام الجديد ، سلاح يحمى المكاسب الاشتراكية ويساند الحركة التحريرية الثورية الدولية .

ان دكتاتورية البروليتاريا تعنى استبدال ديموقراطية المستغلين بالديموقراطية الاشتراكية للشعب العامل ، وهى تعنى بداية حكومة حقيقية للشعب . ويربط لينين تحقيق الحرية الحقيقة فى المحل الأول بتحرير العمل من نير رأس المال ، وبتحرير الشعب العامل من الاستغلال والقهر المعنوى . وكان لينين ينظر دائما الى الحريات السياسية ــ حرية الكلام والصحافة والاجتماع الخ ــ من مواقع طبقية ، كشروط للوحدة الاشتراكية للشعب العامل ولنشر الايديولوجية الاشتراكية ، واستبعد « حرية » الدعاية المعادية للاشتراكية ، و « حرية » تنظيم قوى الثورة المضادة .

[illegible]
اللينينى للمركزية الديموقراطية ، الذى يضع نصب عينيه الربط العضوى بين الادارة المخططة المركزية الواحدة للاقتصاد وللبناء الثقافى والاجتماعى وبين تطور المبادرة المحلية ، مع تنوع طرق وأساليب ووسائل الانطلاق نحو الهدف المشترك . واعتبر لينين القضاء على « الاقليمية » و « النظرة المحدودة » التى تلتقى فى كثير من الحالات مع الفوضوية من ناحية ، و « المركزية البيروقراطية » التى « تخلط المركزية الديموقراطية بالبيروقراطية والروتينية » (المجلد ٢٧ ، ص ٢٠٨) من ناحية أخرى ، شروطا لتشجيع وتطوير المبادرة الاشتراكية للجماهير ، ومن اجل القيادة السليمة للمجتمع الجديد .

ان الاتساع التدريجى للأساس الاجتماعى للدولة الاشتراكية ينبع منطقيا من طبيعة النظام الجديد ذاته . فبعد بناء الاشتراكية ، وعندما يحتل الشعب بأسره وبثبات مواقع اشتراكية ، تشن الطبقة العاملة صراعها الطبقى ضد الامبريالية الدولية وضد الايديولوجية البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ، فى وحدة وثيقة مع الفلاحين الجماعيين والمثقفين العاملين . وتتحول دكتاتورية البروليتاريا الى تنظيم سياسى لمجموع الشعب تلعب فيه الطبقة العاملة وطليعتها الشيوعية دورا قياديا .

وتواصل الدولة الاشتراكية لمجموع الشعب قضية دكتاتورية البروليتاريا ، وتقوم بدورها كبداية تنظيمية فى حل مهام البناء الشيوعى . ان دولة مجموع الشعب ، مرتكزة على مجموع الشعب العامل ، وعلى تنظيمه الواعى ، لاترفض فى نفس الوقت الاجراءات

الضرورية للاكراه فيما يتعلق بالأشخاص الذين يخرقون قوانين المجتمع الاشتراكى ونظمه ومبادئه .

وفى كل مراحل تطور الدولة الاشتراكية ، كانت وظيفتها الرئيسية ولا تزال هى حماية مكاسب الاشتراكية ضد تهجمات القوى المعادية للثورة والامبريالية العالمية . وأى ثورة ، على حد تعبير لينين ، يمكن أن يكون لها قيمة فحسب اذا ما استطاعت أن تدافع عن نفسها . وقد شدد على ذلك فقال : « ان الذين ينظرون باستخفاف الى قضية الدفاع عن البلد الذى حققت فيه البروليتاريا انتصارها بالفعل ، انما يحطمون ارتباطهم مع الاشتراكية الدولية » . (المجلد ٢٧ ، ص ٣٣٢) . ان الجيش الاحمر للعمال والفلاحين باعتباره القوى المسلحة للشعب المنتصر التى كونها الحزب ولينين قد دافع عن مكاسب الثورة خلال الحرب الأهلية .

ان شعبنا ، بما أبداه من ضروب البطولة على نطاق واسع خلال الحرب الوطنية الكبرى ، قد حقق تحت قيادة الحزب الشيوعى عملا خالدا لصالح قضية الاشتراكية . فقد كانت تلك الحرب أقسى امتحان واجهه الشعب ، كما كانت مدرسة لشجاعته، وانتهت تلك الحرب بنصر باهر لأن الاشتراكية ضمنت وحدة لا تقهر لكل المجتمع السوفيتى ، كما ضمنت تعبئة قوية لم تعرف من قبل لاقتصادياته ، وساعدت على التطور العالى للعلوم العسكرية لأنها دربت جنودا وقادة ممتازين لجيشنا . وسهل القضاء على فصائل صدام الامبريالية العالمية المتمثلة فى الفاشية الالمانية والعسكرية اليابانية ، وانجاز الجيش السوفيتى لرسالته التحريرية ، الانتصار الحاسم للثورات الديموقراطية الشعبية فى عدد من بلدان أوروبا وآسيا .

ان الشعب السوفيتى ، وهو يطور اقتصاده القومى ويبنى القدرة الدفاعية للبلاد ، يعتبر من واجبه أن يبذل كل ما فى وسعه من أجل تقوية المجموعة الاشتراكية العالمية ككل ، وكل دولة من أعضائها سواء من الناحية الاقتصادية أو العسكرية أو السياسية .

وتقف مجموعة الدول الاشتراكية بقوتها التى لا تقهر ضد سياسة الامبريالية لتصدير الثورة المضادة ، وهى مصممة على الدفاع عن المكاسب الثورية لشعوبها .

٧ ـ تعلمنا اللينينية أنه يستحيل تحقيق البناء الناجح للاشتراكية والشيوعية الا تحت قيادة حزب ماركسي لينيني مسلح بنظرية متقدمة ، متمرس في المعارك ، ويتمتع بثقة الشعب العامل وقادر على التعبير عن مشاعر الجماهير والتأثير عليها .

وتكمن قوة الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في ولائه لمبادىء الماركسية اللينينية والتقاليد الثورية ، وفي وحدته الصلبة ، وفي حزمه الايديولوجي ، وفي الصفات المعنوية والسياسية النبيلة للشيوعيين . ويفرض ذلك مسئوليات كبيرة على كل شيوعي فيما يتعلق بالوضع القائم في وحدته التنظيمية وفي الحزب بأسره . ولقد تقدم الشيوعيون الصفوف الأولى للمناضلين في سنوات الحرب الأهلية ، والحرب الوطنية الكبرى ، وبناء الاشتراكية ، وهم يلعبون كذلك دورا رائدا في كل نواحي البناء الشيوعي .

والحزب الشيوعي في الاتحاد السوفيتي ، مرتكزا على النظرية الماركسية اللينينية وخبرة النضال المتراكمة ، يرسم الخط السياسي ، ويقوم بارشاد الجماهير وتوجيه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمجتمع . انه يوحد وينسق ويوجه نشاط كل قطاعات النظام الاداري . ويباشر الحزب مهامه اما مباشرة أو من خلال السوفيتات وأجهزة الدولة والتنظيمات العامة ويعمل على تشجيع وتطوير مبادرتها الخلاقة .

وتلعب النقابات السوفيتية باعتبارها أكبر تنظيم جماهيري للشعب العامل ، ومدرسة للشيوعية لعشرات الملايين من العمال والموظفين ، دورا هاما في تطور مجتمعنا . وتعمل النقابات السوفيتية بنشاط تحت قيادة الحزب من اجل زيادة تقوية قدراتنا الدفاعية والاقتصادية ، ومن أجل زيادة رفع مستوى معيشة الشعب ، وزيادة انتاجية العمل ، وتطوير المنافسة الاشتراكية ، واتخاذ موقف شيوعي من العمل ، والانضباط الواعي في الانتاج ، وتحسين ظروف العمل والمعيشة ، وتنظيم الراحة للشعب العامل .

وتعتبر عصبة الشباب الشيوعي اللينينية في الاتحاد السوفيتي معينا نضاليا للحزب ومساعدا له . ويشكل خطاب لينين التاريخي « مهام منظمات الشباب » برنامجا لنشاط

العصبة . وقد تلقى أكثر من جيل من الشباب الشيوعي بناة الاشتراكية مراسهم السياسي بين صفوف الكومسمول .

ان الحزب الشيوعي يتقدم الشعب السوفيتي باسره باعتباره قائده ، باعتباره القائد السياسي لكل تنظيمات الشعب العامل . وادراك الحزب لمسئوليته التاريخية ولواجبه حيال الشعب يحمي الحزب من التفريط في واجباته . لقد أوصانا لينين « الا نسمح في أي ظرف كان بأن يتحجر عقل حزبنا » (المجلد ٣٠ ، ص ٢٢٨) وهي وصية مقدسة بالنسبة لكل الشيوعيين . وقد أشار لينين الى أن النقد والنقد الذاتي شرط لا غنى عنه لأي حزب يريد الحياة . ان ذلك يمثل قانونا ، وشرطا ضروريا لتطور الحزب ، ولتحقيق دوره القيادي في المجتمع .

ان الحزب ، بتحليله لطبيعة العمليات الاجتماعية ، وتعميمه لخبرة الجماهير ، تحديده لطريق التقدم ، يفتح امكانيات جديدة ، ويقدم الوسائل التي تساعده في التغلب على الصعاب والانحرافات. لقد أدان الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي بشدة عبادة الفرد التي أدت الى سوء استخدام السلطة وخرق الديموقراطية الاشتراكية والشرعية الثورية . كما أدان الحزب الذاتية التي تتجاهل قوانين التطور الاجتماعي ورأي الأجهزة الجماعية وتستعيض عن التوجيه العلمي بالقرارات الارادية . ان الالتزام الصارم بالقواعد اللينينية للحزب ولحياة الدولة ، وتطوير النقد والنقد الذاتي ، وممارسة مبدأ القيادة الجماعية بلا كلل ، والصلات العريضة مع الجماهير ، ان كل ذلك يضمن عدم ظهور مثل هذه الظواهر السلبية . ويقف حزبنا ضد أي محاولات توجيه نقد عبادة الفرد والذاتية ضد مصالح الشعب والاشتراكية ، تلك المحاولات التي ترمي الى تشويه تاريخ بناء الاشتراكية والحط من أهمية المكاسب الثورية ومراجعة مبادىء الماركسية اللينينية .

ولقد بذل الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في الفترة الأخيرة جهدا ضخما من أجل احياء وتطوير القواعد اللينينية في الحياة الحزبية ، ومبادىء التوجيه اللينيني في جميع مجالات الحزب والدولة ، وفي النشاط الايديولوجي والاقتصادي .

ان النشاط التوجيهي والتنظيمي للحزب الماركسي اللينيني هو الشرط الرئيسي لكي يكون للطبقة العاملة تأثير حاسم على

تطور المجتمع الجديد . وقد حذرنا لينين ، كما وضحت لنا التجربة ، أن اى محاولة لاضعاف الدور القيادى للحزب تحمل معها اخطار أطلاق العنان للتلقائية المعادية للاشتراكية ، واحياء النظام الرأسمالى .

ان اخلاص الحزب لمبادىء الماركسية اللينينية ، ولمصالح الطبقة العاملة ، وللشعب العامل بأسره ، وتدعيم وحدة الحزب والشعب دليل على الجدية في تنفيذ وصايا لينين ، وضمان لمزيد من الانتصارات لقضية الثورة ، ولقضية الشيوعية .

٨ ــ لقد علمنا لينين ان المهمة الرئيسية للبروليتاريا وكل الشعب العامل بعد كسب السلطة « هى العمل الايجابى والبناء من اجل اقامة نظام متشابك وحساس للعلاقات التنظيمية الجديدة التى تمتد الى الانتاج المخطط وتوزيع السلع اللازمة لحياة عشرات الملايين من الناس » (المجلد ٢٧ ، ص ٢٤١) .

وعلى أساس تطوير فرضيات ماركس حول الملكية الاجتماعية كأساس اقتصادى للاشتراكية ، حدد لينين الطرق والاشكال الرئيسية لتطورها . فالصناعة الآلية الكبيرة تتطلب بطبيعتها ملكية اشتراكية على نطاق الدولة ، ولذلك فان الفكرة التى تنادى « بالاشتراكية التعاونية » ، وترى نقل ملكية مؤسسات الدولة الى أيدى تنظيمات العمل الجماعية ، فكرة لا علاقة لها بالاشتراكية العلمية . ولقد كتب لينين أن مهمة الاشتراكية أن تصبح كل وسائل الانتاج ملكية للشعب بأسره ، لا أن تسلم السفن لصناع السفن ، والبنوك لموظفى البنوك .

ويعلمنا لينين أن الانتاج الصناعى المتطور الى اقصى الحدود فى كل فروع الاقتصاد القومى والقائم على آخر منجزات العلوم والتكنولوجيا ، هو وحده الذى يمكن أن يشكل أساسا ماديا للاشتراكية . ولقد كتب يقول « عندما تحل مشكلة الملكية الاشتراكية لوسائل الانتاج الرئيسية ، تبرز الى المقدمة بالضرورة حينئذ المهمة الرئيسية لخلق نظام اجتماعى أرقى من الرأسمالية ، اى رفع انتاجية العمل ، وفى سبيل تحقيق ذلك يجب ضمان تنظيم أفضل للعمل » . (المجلد ٢٧ ، ص ٢٧٥) .

ان الاتجاه الرئيسى لخلق قوى انتاج جديدة على اساس الطاقة الكهربائية ، والاستخدام المتعدد الوجوه للثروة الطبيعية ، وادخال

التكنيكات المتقـدمة ، والتكنولوجيا وتنظيم الانتـاج ، كل ذلك استهدفته خطة الدولة لكهربة روسيا (جويلرو) التى وضعت تحت اشراف لينين . ووفقا لتعاليم لينين ، نفذ الشعب العامل فى بلاد السـوفيت تصنيع البلاد تحت قيادة الحزب . وامكن تحقيق ذلك فى فترة تاريخية قصيرة للغاية فى السنوات المجيدة لفترة مشاريع السنوات الخمس الأولية العظيمة مما نقل الاتحاد السوفيتى الى صفوف الدول الكبرى المتطورة صناعيا فى العالم .

وقـدم ف . ا . لينين الاسـاس العلمى لتوضـيح الحاجة الى نقـل ملايين النـاس من صغار منتجى السـلع الى طريق الاشتراكية والأساليب اللازمة لذلك . واعتقد لينين ، انه بالنسبة لهذه الوحدات الانتاجية ، التى تتميز عن الانتاج الكبير ، تعتبر الأشكال التعاونية للجماعية الاشتراكية اكثر الأشكال ملاءمة . وكنتيجة لتجميع المزارع الفلاحية الفردية فى مزارع جماعية ، وللتطور الواسع لمزارع الدولة ، أخلى الانتـاج السلعى الصغير والأنظمة الرأسمالية فى الريف مكانها للنظام الاشـتراكى . ان الملكية الاشتراكية فى شكليها ـ شكل ملكية الشعب بأسره ، وشكل ملكية التعاونيات والمزارع الجماعية ـ قد أصبحت كذلك أساسا للعلاقات الاقتصادية فى الزراعة . وبفضل التجديد النوعى للأساس التكنيكى يمتلك الاتحاد السوفيتى اليوم انتاج مزارع آلية واسعة تضمن زيادة موارد الطعام والمواد الخام .

وقدم ف.أ. لينين حلا علميا للمشاكل الرئيسية فى التخطيط وفى ادارة الاقتصـاد . وقد وضعت أسـس الادارة المخططة للاقتصاد فى كل فروعه تحت اشرافه المباشر . وتتلخص مطالب لينين من أجل ادارة الاقتصاد المخطط فى : نظرة علمية ، مع القدرة على التحديد الصائب لحدود وأولويات المهـام التى سيتم تنفيذها ، والاهتمام بآخر منجزات العلوم والتكنولوجيا ، والخبرة المتقدمة ، والمرونة والقدرة على الاستجابة للظروف المتغيرة بسرعة وحسم .

تقدم الاشتراكية نظاما جديدا لتوزيع القيم المادية . ويتلقى كل عامل ، وعضو فى الجماعية جزاء ماديا يتوقف على نتائج نشاطه وعلى المساهمة الحقيقية فى مجموع العمل الاجتماعى . وتخلق الاشتراكية لأول مرة فى التاريخ مساواة الناس فى علاقتهم

بوسائل الانتاج ، وتقضى على الاستغلال ، ولكنهـا لاتستطيـع ان توفر بعد ، كما أشار لينين مساواة كاملة فى التوزيع والرفاهية المادية للشعب .

وقد صور لينين التوزيع فى ظل الاشتراكية كرافعة قوية تؤدى الى نمو الانتاج ، وتحسين نوعية العمل وانتاجيته وتطور مبـادرة العمال . وأكـد فى نفس الوقت أنه بدون موقف واع اشتراكى من العمل . وبدون أن تدرك الجماهير مصالحها العامـة على المدى الطويل ستكون الاشتراكية مستحيلة . ورأى لينين فى البدايات الأولى للموقف الجديد من العمل ــ المتمثل فى العمال الطليعيين الشـيوعيين ــ « بداية ثورة أكثر صـعوبة ، وأكثر وضوحا ، وأكثر جذرية وحسما من التطويح بالبرجوازية ، لأنها انتصـار على اتجاهاتنـا المحافظة غير المنضبطة وعلى ذاتيتنـا البرجوازية الصغيرة ، انتصار على العادات التىورثتها الرأسمالية اللعينة للعمال والفلاحين » . (المجلد ٢٩ ، ص ٤١١) .

وعندما اشار لينين الى ان نجاح خططنا انمـا يتوقف على الشعب قبل اى شيء آخر ، كان هو بنفســه يسعى بل ويعلم الآخرين « أن يدربوا ويكتشفوا منظمين حقيقيين ، اناسـا ذوى عقول راجحة وعملية ، يجمعون ما بين الاخلاص للاشتراكية وبين القدرة دونما ضجة (ورغم الضجة والتشويش) على أن يجمعوا عددا كبيرا من الناس يعملون معا بثبات وبشكل محدد فى اطار أحد التنظيمات السوفيتية » (المجلد ٢٧ ، ص ٢٦٣) .

وتجلت الفعالية الكبيرة لمبادىء لينين فى التنظيم الاشتراكى للاقتصاد بشكل بارز لأول مرة فى النموذج الذى قدمه الاتحاد السوفيتى . فلقد قفزت بلادنا من المركز الخامس الى المركز الثانى فى العالم بالنسبة لمجموع الانتاج الصناعى فى فترة ما قبل الحرب . وبلغ معـدل الزيادة السنوية للانتـاج الصناعى خلال سنوات العمل السلمى ١٤٪ ، وبالنسبة لكل الفترة السوفيتية ٩ر٩٪ ، مقابل من ٢ ــ ٤٪ عن نفس الفترة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا الغربية . وأكد تطور الأحداث بشكل كامل نبوءة لينين فيما يتعلق بمعـدل السرعة الهـائل لنمو قوى الانتاج فى المجتمع كنتيجة للقضاء على الرأسمالية .

٩ ــ واشار لينين الى أن مهمة الاشتراكية تكمن فى تسخير كل منجزات الثقافة لخدمة مصالح الشعب العامل ، ومع انتقال السلطة السياسية الى يد الطبقة العاملة ، تصبح منجزات العلم والتكنولوجيا والفن ملكا للشعب ، وتنقضى الى غير رجعة امكانية تحويل القدرات البشرية الى هدف للاستغلال .

وكان برنامج لينين للثورة الثقافية مساهمة هامة فى النظرية والتطبيق الثورى . ويتلخص المحتوى الرئيسى لهذا البرنامج فى : تطوير التعليم العام وخلق كافة الظروف لجر أعرض جماهير الشعب العامل الى السياسة والمعرفة والقيم الجمالية ، ونشر الايديولوجية الاشتراكية العلمية ، وتنظيم كل نشاط الشعب الروحى ــ على أساس مبادىء هذا البرنامج ــ متخطين كل الاخلاقيات والآراء البرجوازية الصغيرة .

واليوم نرى ثلث سكان الاتحاد السوفيتى يتمتعون بتعليم عال ومتوسط ، كما يجرى تحويل التعليم الثانوى الى تعليم عام لكل الشعب . ويعمل ما يزيد على ٨٢٠ الفا من رجال العلم فى كل فروع الاقتصاد والثقافة القومية . ان ارتفاع مستوى المهارة الفنية للعمال والفلاحين والموظفين بشكل مستمر يمثل ثروة اجتماعية هائلة .

وقد اعتبر الحزب دائما الجهود الروحية الخلاقة فى المجتمع الاشتراكى جزءا لاينفصل عن القضية العامة للحزب والبروليتاريا. وكانت مبادىء لينين عن تحيز الأدب والفن وصلاتهما الوثيقة بالشعب أساسا لتربية خيرة قوى المثقفين فى الفنون على أرضية السلطة السوفيتية الايديولوجية والسياسية . أن موقفا حكيما من المواهب والعمل الابداعى لابد أن يجمع ما بين نظرة لينين للنشاط الروحى ، وبين اساس المواقف الايديولوجية والسياسية ، وبين وضوح الأهداف المعنوية .

ولم يكن لينين يعرف الرحمة تجاه ما سماه « بالتمويه الأدبى » للأفكار المعادية للاشتراكية ، ونحو محاولة تسرب الأفكار الرجعية بمساعدة صياغات عصرية ، ونحو محاولات التغطية على المحتوى التافه بمهارة الصياغة ، كما وقف ضد محاولات التبسيط والذاتية فى تقييم الأعمال الفنية .

ان الثقافة الاشتراكية تعتبر خطوة تاريخية عالمة فى التطور الروحى للبشرية .

١٠ ـ عرف ف.ا. لينين الاشتراكية بانها مرحلة القضاء التدريجى على الطبقات واقامة العدالة الاجتماعية . ويعتبر التحويل الاشتراكى للعلاقات الاجتماعية عمليتين متداخلتين : تحطيم أسلوب الحياة القائم على الاستغلال والملكية الخاصة ، واستبداله بجماعية موحدة للشعب كله منظمة على أساس واع فى المدينة والريف .

ان تحالف الطبقة العاملة والفلاحين وكل الشعب العامل القائم على وحدة مصالحهم الأساسية والذى يضمن تضامنهم على الأساس الذى يجمعهم لبناء الاشتراكية ، ان هذا التحالف الذى تلعب فيه الطبقة العاملة دورا قياديا يعتبر ذا اهمية حاسمة فى هذا التحول .

وفى المجتمع الاشتراكى الذى يتغلب بثبات على الفوارق الاجتماعية تستمر الطبقة العاملة ـ التى تغيرت جذريا خلال سنوات السلطة السوفيتية والتى تشكل اليوم أكثر من نصف الشعب العامل فى الاتحاد السوفيتى ، تستمر هذه الطبقة القوة الاجتماعية القائدة . والطبقة العاملة تنتج النصيب الأكبر من الناتج الاجتماعى ، وتقف على آخر مستحدثات التقدم التكنيكى ، وتعمل فى المجالات الحاسمة للانتاج الاجتماعى . ان سمات العامل الصناعى الواعى الذى يشارك فى النشاط الثقافى ، وسمات الرائد النشيط لحياة جديدة الذى يؤكد القيم النبيلة للعلاقات الانسانية ، يتحدان معا ليكونا ملامح العامل السوفيتى .

وقد تحول الفلاحون من طبقة ملاك صغار الى طبقة فلاحين جماعيين ، أى الى قوة اجتماعية اشتراكية . وساعد نظام المزارع الجماعية والنظام التعاونى ، وطريقة الحياة السوفيتية ، والتأثير التربوى السياسى المستمر للطبقة العاملة والحزب الشيوعى على جماهير الفلاحين ، على تطوير عادات العمل الجماعى والعقيدة الجماعية بين صفوفهم ، وعلى تقبلهم النشيط للاساليب الصناعية الحديثة فى ادارة المزارع .

فى السنوات الاولى من بناء الاشتراكية ، وضع لينين أمامنا بالاضافة الى مهمة الاستفادة من الاخصائيين القدامى واعادة

تربيتهم ، مهمة تكوين مثقفين جدد من العمال والفلاحين .
والمثقفون الاشتراكيون الذين تربوا فى ظروف النظام السوفيتى
يشكلون جزءا عضويا لاينفصل عن مجتمعنا . ان مشاركتهم ودورهم
الاجتماعي في ظروف التقدم التكنولوجي والعلمى المتزايد السرعة
يتزايد الى درجة غير محدودة . وهكذا تتحقق نبوءة لينين « أن
التعاون بين العلماء والعمال يستطيع وحده أن يضع حدا للفقر
المدقع والمرض والقذارة ولا تستطيع قوى الظلام مهما كانت أن
تقف فى وجه تحالف العلماء والبروليتاريا ، والتكنولوجيين »
(المجلد ٣٠ ، ص ٤٠٢) .

واعتبر لينين حل المشكله القوميه شرطا هاما لضمان المساواة
الاجتماعية ووحدة الشعب العامل . وتتلخص مبادىء برنامج
اللينينية حول المسالة القومية فى : حق تقرير المصير والمساواة
بين الامم ، وحدة العمال والشعب العامل لمختلف القوميات فى
النضال من أجل الديموقراطية والاشتراكية ، التحالف السياسى
والعسكرى والاقتصادى الوثيق بين الشعوب التى سلكت طريق
الاشتراكية ، ضمان المساواة الفعلية بين الامم من خلال التطور
الحر لاقتصادياتها وثقافتها من خلال الجهود المشتركة .

ان مصالح الطبقة العاملة تفرض على الشيوعيين أن يناضلوا
ضد سوء تقدير القسمات القومية وضد المبالغة فيها . وقد
استرشد الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى دائما فى نضاله ضد
الانحرافات القومية وشوفينية الدولة الكبرى ، بحقيقة أنه
لا القومية فى أى شكل كانت ولا العدمية القومية بمتان بصلة الى
الاشتراكية .

وتحت قياده لينين اقيمت دولة اشتراكيه متعدده القوميات
فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، الذى يتشكل من
اتحاد اختيارى بين جمهوريات مستقلة متساوية يرتكز على مبادىء
الاممية البروليتارية ، وعلى وحدة تنظيم المجتمع اقتصاديا
وسياسيا ، وعلى النشاط الايديولوجي والثقافى المشترك . وتتمثل
فى وحدة اكثر من مائة امة وقومية اشتراكية فى بلادنا، وفى انطلاقهم
الاقتصادى والثقافى السريع ، وفى بناء ايديولوجية بروليتارية
مشتركة ، ما حققته الاشتراكية فى حل المشكلة القومية المزمنة

التى لم يستطع أن يحلها أى نظام آخر . ان الوحدة الفولاذية لشعوب الاتحاد السوفيتي تعتبر شرطا ضروريا لتنفيذ مهام البناء الشيوعى بنجاح .

ان الوحدة الاجتماعيه والايديولوجيه والسياسية لكل فئات الشعب العامل ، ولكل المواطنين بغض النظر عن الاصل أو المهنة أو القومية أو الجنس أو التعليم متحققة فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية . والشعب السوفيتى من حيث المبدا هو مجموعة امية جديدة من الشعوب ، واتحاد اشتراكى لكل الشعب العامل فى اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية لعمال الصناعة والزراعة والثقافة ، وللعمل الجسدى والعقلى ، بشكل الاساس الاجتماعى لدولة متعددة القوميات لكل الشعب .

ان التحولات التاريخية فى البناء الاجتماعى لمجتمعنا قد صاحبتها تغييرات أساسية فى أسلوب حياة كل الشعب السوفيتى، وفى التطور الهائل للامحه الاشتراكية والسوفيتية العامة ، والارتفاع الملموس لمستوى معيشة الشعب . ورغم الحاجة الى تخصيص اعتمادات كبيرة للدفاع ، ورغم الخسائر الهائلة التى تحملتها بلادنا نتيجة للعدوان الامبريالى ، وما استلزمته اعادة تعمير البلاد من نفقات باهظة ، فان الدولة السوفيتية تسير بلا انحراف فى طريقها اللينينى العام من أجل زيادة رفاهية الشعب وثقافته .

فالبطالة لم يعد لها مكان فى بلادنا .

وبدلا من يوم العمل الذى يبلغ من ١٠ — ١٢ ساعة كما كانت الحال فى معظم المؤسسات الصناعية فى روسيا قبل الثورة يطبق الان يوم العمل ذو السبع ساعات ، ولفئات معينة من العمال يبلغ ست ساعات أو أقل مع اعتبار اسبوع العمل ستة أيام ويوم للراحة أو خمسة أيام بنفس ساعات العمل الاسبوعية مع يومين للراحة .

واصبحت ظروف العمل أكثر صحيه من كل النواحى ؟ ويعتبر الاتحاد السوفيتى من بين اقل الدول التى تحدث بها اصابات عمل .

وقد زاد الدخل الحقيقى لعمال الصناعة والبناء ـ اذا ما أخذنا فى اعتبارنا القضاء على البطالة وتقصير يوم العمل ـ سبع مرات فى المتوسط لكل مستخدم بالمقارنة مع عام ١٩١٣ ، وزاد الدخل الحقيقى للفلاح خلال تلك الفترة حوالى ١١ ضعفا .

وزادت المساحة الكلية للمساكن فى المدن ٨ أضعاف بالمقارنة مع عام ١٩١٣ كما تحسنت ظروف المعيشة ووسائل الراحة بدرجة كبيرة .

والتعليم عام ويتم على نفقة الدولة . ويساهم المجتمع بنصيب كبير فى نفقات تربية وتعليم الجيل الصاعد . وفى الوقت الحاضر يبلغ مجموع الاطفال الذين تشملهم الرعاية فى دور الحضانة وبيوت الاطفال حوالى ٩ ملايين . وقد زاد عدد التلاميذ فى مدارس التعليم العام فى سنوات الحكم السوفيتى من ٩٫٧ مليون الى ٤٩ مليونا .

ويطبق فى الاتحاد السوفيتى نظام واحد للمعاشات . ويقدم المعاش على نفقة الدولة والمزارع الجماعية . وسن المعاش المقرر للشيخوخة فى الاتحاد السوفيتى اقل منه فى معظم دول العالم .

ويتمتع المواطنون بالخدمات الطبية المجانية ، كما توفر الحماية للامومة والطفولة . وقد تضاعف متوسط عمر الفرد خلال نصف قرن .

لقد وفرت الاشتراكية بالفعل مزايا هائلة للانسان العامل . ان زيادة تطور هذا النظام الاجتماعى الشعبى المتقدم للغاية سيقرب المجتمع من الازدهار الكامل للشخصية ، ومن تحقيق نبوءات مؤسسى الشيوعية العلمية .

١١ ـ برهنت الحياة على صحة نبوءات لينين حول تزايد انفصال دول جديدة عن النظام الراسمالى العالمى نتيجة للثورة الاشتراكية ، وعن تحول دكتاتورية البروليتاريا من قوة قومية الى قوة دولية . كما أكدت خبرة كثير من البلدان فى ثلاث قارات من جميع النواحى أهمية وفعالية تعاليم لينين حول البناء الاشتراكى . ويشهد تنظيم التعاون الدولى فى اطار النظام الاشتراكى العالمى على صحة مبادىء لينين عن الطراز الجديد من العلاقات الدولية .

فالتضامن الاقتصادى والسياسى بين البلدان الاشتراكية يضاعف من قوة ومناعة كل منها ، ويجعل فى الامكان الاستفادة الى اقصى حد من مزايا التنظيم الاشتراكى للحياة الاجتماعية .

وقد تجلت قوه النظام الجديد وحيويته فى قدرته على ان يشق لنفسه طريقا فىظروف متباينة للغاية، وأن يكتشف اشكالا مختلفة لتنفيذ مهام اجتماعية وثقافية متماثلة . ان كل امة ، كما تنبأ لينين من قبل ، تساهم « من عندها بشكل ما من أشكال الديموقراطية ، وبصورة من صور دكتاتورية البروليتاريا ،وبمعدل للتحول الاشتراكى فى نواحى الحياة الاجتماعية المختلفة » (المجلد ٢٣ ، ص ٦٩ — ٧٠) .

وعبر ف.ا.لينين عن اقتناعه العميق بأن الاشتراكية سوف تضمن الوحدة الاقتصادية والاجتماعية للشعوب سواء على المستوى القومى أو الدولى . ورأى لينين الاساس المادى لتلك الوحدة فى الاتجاه نحو « خلق اقتصاد عالمى واحد ، تشرف عليه البروليتاريا فى كل البلدان ، باعتباره كلا واحدا ووفقا لخطة عامة . وقد كشف هذا الاتجاه بالفعل عن نفسه بوضوح فى ظل الرأسمالية ومن المقدر له ان يتطور ويزداد فى ظل الاشتراكية » (المجلد ٣١ ، ص ١٤٧) .

تتميز العلاقات بين البلدان الاشتراكية بوحدة مصالحها الاساسية . وتجمع الايديولوجية الماركسية اللينينية والاهداف المشتركة لبناء الاشتراكية والشيوعية هذه البلدان فى وحدةاخوية . انها تواجه مهام مشتركة فى النضال ضد الرأسمالية وسياستها الامبريالية .

وتفرض الحياة نفسها على تلك البلدان أن تزيد من توثيق علاقاتها الاقتصادية والسياسية . ان تنسيق خططها الاقتصادية والبرنامج الطويل المدى لزيادة تطور التكامل الاشتراكى الذى أقرته الدورة الخاصة الثالثة والعشرون لمجلس المعونة الاقتصادية المتبادلة ، انما تهدف الى الوصول الى حل ناجح لتلك المهام . ان الاحزاب الشقيقة ، عن طريق تطوير مثل هذه الاساليب ، انما تقدم مساهمة خلاقة من أجل تطوير فكرة لينين حول اقامة « تعاونية دولية للشعب العامل » .

ان اقامة النظام الاشتراكى العالمى عملية معقدة ومتعددة الجوانب ترتبط بالتغلب على الصعوبات الموضوعيه والذاتية . والعلاقات الاخوية والتعاون انما ينشأ بين البلدان التى لها نفس المستوى الاقتصادى منذ زمن مضى ولها نفس التقاليد الثقافية والتاريخية ونفس الهياكل الاجتماعية .

وتشهد التجربه على انه حينما تنجح العناصر البرجوازية الصغيرة فى ممارسة نفوذها ، تحاول أن تمنع الطريق الطبيعى للتحولات الاشتراكية وتوقع بين البلاد الاشتراكية ، وتبعث الحياة فى الاراء الانتهازية والمراجعة والقومية التى تلعب عليها الامبريالية. ويتزايد مثل هذا الخطر حيثما يسمح بالتراجع عن مبادىء الماركسية اللينينية .

وتهاجم المراجعة اليسارية نظرية وتطبيق الشيوعية العالمية ، وتحاول أن تستبدلها « باشتراكية » الثكنات العسكرية الرجعية الطوباوية ، ويتكشف محتواها القومى البرجوازى الصغير عندما تتقمص دور المسيح أمام بلدان معينة ، وتقوم بعملية غسيل المخ على نطاق جماهيرى بروح السيادة والشوفينية والمعاداة المقيتة للسوفيت .

ومن الناحية الاخرى ، يروج المراجعون اليمينيون لفكرة ما يسمونه بالاشتراكية « المتحررة » التى تنكر الدور القيادى للاحزاب الماركسية اللينينية ، مستبدلة الديموقراطية الاشتراكية بلبرالية سياسية من طراز برجوازى . انهم يقضون بذلك على التخطيط المركزى وادارة الاقتصاد القومى بهدف اطلاق تلقائية السوق والمنافسة .

ويقدر الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى النضال الذى يشنه الشيوعيون فى البلدان الشقيقة ضد محاولات اضعاف مركز النظام الجديد ، وضد النظرة الانتهازية لمشاكل بناء الاشتراكية والعلاقات المتبادلة داخل النظام الاشتراكى العالمى ، ومن أجل التغلب على الخلافات بين الاحزاب على اساس مبادىء الماركسية اللينينية . ان السياسة السليمة للاحزاب الشيوعية والعمالية ، وتنفيذها غير المنحرف لتعاليم لينين حول بناء مجتمع جديد ،

والتزامها بمبادىء الأممية الاشتراكية تعتبر شرطا ضروريا لاقامة طراز جديد من العلاقات الدولية .

ان بناء وتطوير الاشتراكية فى اطار بلدان منفصلة وعلى نطاق دولى ، انما هو نتيجة للجهود التاريخية الخلاقة للايين الجماهير العاملة الذين أخذوا مصيرهم بين أيديهم . ويتزايد يوما بعد يوم استيعاب الجماهير العاملة فى كوكبنا لهذه الجهود التاريخية الخلاقة ، كما سبق وتنبأ لينين .

ان العملية الطبيعية لانتقال المجتمع البشرى من همجيته لتاريخه الذى يصنعه بوعى تجد تعبيرا لها فى هذه الظاهرة .

٣ ــ اللينينية راية لنضال الشعوب ضد الامبريالية ومن أجل اعادة البناء الثورى العالم

١٢ ــ ان خبرة المعارك الطبقية للقرن العشرين قد أوضحت اننا عندما نسترشد بتعاليم لينين فحسب ، نستطيع أن ندرك جوهر وطبيعة التغيرات الثورية التى تحدث فى العالم ، ونقدر بشكل سليم دور القوى التى تشارك فيها ، ونتبين بشكل سليم التطور المقبل للثورة الاشتراكية العالمية .

ان الحاجة الى استبدال علاقات الرأسمالية بالعلاقات الاشتراكية يزداد الحاحا فى أيامنا عنه فى أى وقت مضى ومع ذلك فقد آكد لينين ، أن التطويح بآخر نظام للاستغلال على نطاق العالم واقامة نظام اجتماعى جديد هو عملية معقدة طويلة ومتباينة ،ولقد نضجت الظروف المادية للانتقال ولكن البرجوازية الامبريالية صممت فى معظم هذه البلدان على ان تحتفظ بالسلطة . وتشكل تلك الظاهرة فى الظروف الحاضرة العقبة الرئيسية فى طريق التقدم الاجتماعى .

وفى مواجهة نجاحات الاشتراكية تبذل البرجوازية الامبريالية قصارى جهدها من اجل الدفاع عن مصالحها والاحتفاظ بمراكزها الرئيسية وهى تناور فى كل مجالات الحياة العامة . وتعبىء كل مواردها المادية كى تحتفظ بسيطرتها أو توحد بصورة متزايدةبين قوة الاحتكارات وقوة الدولة ، وتكشف عن دهائها السياسى فى محاولاتها لصد هجمات الاشتراكية .

وفى المجال الاقتصادى تستفيد الرأسمالية من منجزات الثورة العلميه والتكنولوجيه ، وتعتمد على ميكانيكية الانتاج العالية التنظيم والقويه لتعبئة كل الموارد على النطاق القومى ، ولزيادة معدلات النمو الاقتصادى، والاحتفاظ بكفاءة عالية للانتاج مستعينة فى كل ذلك بالدولة .

وفى المجال السياسى تربط البرجوازية بمهارة ما بين الاساليب الوحشية لقهر الجماهير وبين الطرق والاساليب الجديدة للتأثير على الشعب العامل وتحاول عن طريق شعارات مثل « المشاركة الاجتماعية » و (المجتمع المفتوح) أن تخضع تنظيمات الطبقة العاملة وتذيبها فى النظام الديموقراطى الزائف المتعدد الاحزاب الذى يهدف الى اخفاء دكتاتورية الفئات العليا الامبريالية .

وبالاضافة الى ذلك فان الاحتكارات ، عندما ترى فشل مخططاتها لاخضاع حركة الطبقة العاملة للميكانيكية السياسية البرجوازية ، غالبا ما تلجأ وبصورة متزايدة الى أساليب عنيفة لقهر الجماهير . وتتزايد اجهزة القهر فى البلدان الامبريالية حجما وعددا ، كما تظهر تشريعات جديدة معادية للعمال .

وفى المجال الاجتماعى يحاول راس المال الاحتكارى ، عن طريق التنازلات والترضيات أن يخفى زيادة حدة استغلال الجماهير العاملة فى محاولة لمنع الانتفاضات الطبقية التى تشكل خطرا كبيرا على البرجوازية . وعن طريق تقديم التنازلات فى المسائل الثانوية وغير الهامة ، كى تحافظ على ما هو اهم ، تحاول الرأسمالية ، كما يقول لينين أن تبعد العمال عن الصراع الطبقى وتدعم وتوسع الاساس الاجتماعى لحكمها .

ان الطبقة العاملة تستغل بالفعل بدرجة متزايدة ، وتذهب المزايا الاساسية الناتجة عن استخدام القوى الانتاجية الحديثة الى الاوليجاركية المالية الصناعية . ويؤدى ذلك الى زيادة حدة التناقضات الاجتماعية والى صعوبات اقتصادية فى البلدان الراسمالية الرئيسية ، والى ازمة نقدية ومالية مزمنة والى البطالة والى زيادة حدة التناقضات بين البلدان الامبريالية .

وتنفق البلدان الامبريالية جزءا هاما من الثروة القومية على التحضير للحروب واشعالها وتستخدم الدوائر العسكرية الصناعية

نظام « النهب المشروع » كما يقول لينين، لتستخلص أرباحا ضخمة تضمنها لها الدولة ، وقد أصبح التشابك الصناعى العسكرى يشكل قوة الامبريالية الضاربة ، مما انعكس أثره فى السياسة الداخليه والخارجية للبلدان البرجوازيه .

ولا تزال أكثر الدوائر عدوانية فى الامبريالية المعاصرة وفى المحل الاول فى الولايات المتحدة والمانيا الغربية تأمل في ان تكون مرة أخرى فارس معارك القرن العشرين ، وأن تنتقم لنفسها ، وتقضى على نفوذ الاشتراكية العالمى ، وتعيد فرض الاستعمار فى أشكال جديدة ، وقد أصبحت الامبريالية الامريكية معقل معاداة الشيوعية ، ومركز الرجعية والعسكرية الدولية ، ففى السنوات القليلة الماضية فحسب قامت الولايات المتحدة بالتدخل العسكرى ضد فيتنا وكوبا وبناما وجمهورية الدومنيكان كما قامت بعمليات الاستفزاز العسكرى ، وساندت بشكل نشيط العدوان الاسرائيلى ضد البلدان العربية كما ساندت الانقلابات الرجعية فى عدد من البلدان ، ويعتبر احياء قوى النازية الجديدة والانتقاميةفىجمهورية المانيا الاتحادية تهديدا خطيرا للامن والسلام فى أوروبا

ولكن العالم قد تغير لدرجة كبيرة ، فلقد فقدت الامبريالية احتكارها لتقرير شئون العالم وهو ما كانت تتمتع به قبل أكتوبر ١٩١٧ . وكفت عن أن تكون القوة السائدة فى المجال الدولى . ومن الواضح اليوم أن هدف استراتيجية الامبريالية الرئيسى وهو تحطيم النظام الاشتراكى لايمكن تحقيقه . وقد أعلن المؤتمر الدولى للاحزاب الشيوعية والعمالية «ان الامبريالية عاجزة عن أنتستعيد المبادرة التاريخية التى فقدتها ، لكى تغير من اتجاه تطور عالمنا المعاصر» . والاشتراكية اليوم تحتل تاريخيا مواقع الهجوم وتلك هى النتيجة المحتومة التى تجسد تعاليم لينين فيما يختصبالعماية الثورية وبالسياسة الاشتراكية الواعية الهادفة ، والعمل المتفائل لملايين الناس الذين يبنون القوة المادية والمعنوية للعالم الاشتراكى.

١٣ – فى ظروف أصبح فيها النظام العالمى للامبريالية ناضجا للثورة الاشتراكية ، بل وتحطم بالفعل فى عدد من البلدان ، أشار لينين إلى الاهمية الحاسمة لتطوير وتدعيم القوى التى القى على عاتقها أن تقوم بهذه الثورة حتى النهاية .

وبعد ثورة أكتوبر القى لينين الدور الرئيسى على الطبقة العاملة والشعب العامل فى البلدان التى تبنى مجتمعا اشتراكيا

جديدا ، ومنــذ أن تم ذلك التحول اصــبحت قوى الاشـتراكية المنتصرة طليعة للحركة الثورية . وادى ظهور الاشتراكية فى المجال الدولى الى اتساع الفرص الثورية أمام البروليتـاريا فى البلدان الرأسماليــة ، والى فتح آفاق جديدة أمام تطـور حركة التحرير الوطنى .

ولقــد تحولت الاشتراكية اليوم ، كما تنبــأ لينين بعبقريته ، الى أكثر القوى الاجتماعية تأثيرا على التطور الاجتماعى ، الى قوة دافعة ضخمة للتقــدم الاجتماعي . ان مصير عالمنا المعاصر انمــا يحـــدده الصراع بين « طريقين فى الحيــاة ، بين نظــامين ، وبين اقتصادين ــ هما الشيوعية والراسمالية » كما قال لينين .

وفى المرحلة الحاضرة من المنافسة بين النظامين تتضح اهمية ما قاله لينين عن أن العامل الرئيسى لتأثير الاشتراكية علىالثورة العــالمية انما يكمن فى سياستها الاقتصادية ، وفى خلق أســاس اقتصادى وتكنيكى للمجتمع الجديد يتفوق على القوى الانتــاجية للرأسمالية . وقد قال لينين « انه حينما تحل تلك المشكلة تكون قد انتصرنا بالتأكيد وبشكل نهائى على النطاق الدولى »

والوجه الآخر للاستراتيجية الثورية للعالم الاشتراكى يكمــن كما يقول لينين فى«مساندة الحركة الثورية للبروليتاريا الاشتراكية فى البلدان المتقدمة .. وتأييـــد الحركة الديمقراطية والثورية فى كافة البلدان بشكل عام ، وفى المستعمرات والبلدان التابعة بشكل خاص » .

وكانت تلك المبادىء مرشدا للحـــزب الشيــوعى للاتحـــــاد السوفيتى على الدوام . ولا توجد حركة ثورية ، أو عمل قامت به جمــاهير الشعب من أجل تحررها القومى والاجتمــاعى لم يلق المساندة الفعالة من حزب لينين ومن وطن ثورة أكتوبر .

ويتوقف تأثير ونفوذ الاشتراكية الدولية لدرجة كبيرة على قدرة الاحزاب الماركسية اللينينية التى وصلت الى السلطة « على خلق علاقات دولية مختلفة تماما » . ففى مواجهة سياسة الحرب والعدوان واستعباد الشعوب والبلدان الاخرى من قبل الامبريالية تقف الاشتراكية بسياستها اللينينية القائمة على السلام والصداقة وقد ساعدت السياسة الخارجية الاشتراكية على جذب جماهير

الشعب في نضال يزداد فعالية من أجل انتصار المبادىء الديمقراطية العادلة فى العلاقات الدولية .

ان الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى ، مخلصا لتعاليم لينين ، يعمل بلا كلل من أجل تدعيم السلام . وترمى سياسته الخارجية الى تامين ظروف سلمية لبناء الاشتراكية والشيوعيه ، ولخلق جو ملائم لنضال الشعب العامل فى كل البلدان من أجل التحرر ومن اجل التقدم الاقتصادى والاجتماعى . وفى نفس الوقت ، فقد اشار لينين ، الى ان التعايش السلمى بين البلدان ذات الانظمة المتعارضة يعنى صراعا سياسيا واقتصاديا وايديولوجيا حادا بين الاشتراكية والرأسمالية ، بين الطبقه العامله والرأسماليه . ان ذلك لا علاقة له بالسلام الطبقى كما أنه لايلقى اى ظل من الشك حول حق الشعوب المضطهدة المقدس فى استخدام كافة الوسائل فى نضالها من اجل التحرر ، بما فى ذلك النضال المسلح . والاتحاد السوفيتى يواصل مساندته للحرب العادلة من اجل التحرر التى يخوضها الشعب الفيتنامى ضد الامبريالية الامريكية ، والحروب العادلة للشعوب الاخرى التى تتعرض لعدوان الامبريالية .

١٤ ـ ان القوة الثورية الرئيسيه فى البلدان الراسمالية الصناعية هى الطبقة العاملة التى تناضل ضد الامبريالية داخل قلاعها . ولقد كان لينين يقدر بشكل خاص الطبقة العاملة فى البلدان الصناعية قائلا « أنها أملنا الرئيسى وسندنا الرئيسى » .

ولقد رفضت الحياة بشدة التحليل الشائع للاصلاحيين البرجوازيين والنظريين الفوضويين البراجوازيين الصغار ، الذى يقول أن الشعب العامل فى دول الغرب « بفقد » روحه الثورية ، فخلال المعارك الطبقية التى جرت فى السنوات الاخيرة فى البلدان الامبريالية كشفت الطبقة العاملة عن روح تنظيمية ونضالية وهجومية وعن استعدادها للقيام بأعمال حاسمة من أجل المثل الديمقراطية والاشتراكية . لقد كشفت عن قدرتها على جر الجماهير العريضة معها فى ظل الظروف الجديدة التى تشهد تغيرات اقتصادية عميقة وتغيرات فى العلاقات الاجتماعية ونقطة اجتماعية الجماهير العاملة .

أشار لينين فى مشروع تقريره حول الوضع الدولى والواجبات الرئيسية للدولية الشيوعية (الكومنترن) خمسة الى « عوامل اجتماعية تشكل مصدر قوة » الطبقة العاملة .

(١) عددها (٢) تنظيمها (٣) مكانتها فى عملية الانتاج والتوزيع (٤) نشاطها (٥) تربيتها . ومنذ كتب لينين ذلك التقرير زاد عدد أفراد الطبقه العامله بدرجة كبيره . ونمت كذلك من حيث التنظيم والنشاط السياسى كما ازدادت معرفة وتدريبا وتحت تاثير الحياه الراسمالية تدرك أعداد متزايدة من العمال فى المهن الجديده ، ومن المثقفين المرتبطين بخدمة التكنولوجيا المتقدمة تبعيتها الكاملة لنظام احتكار الدولة . ويزداد اقتناعهم بالحاجة الى استبدال الراسماليه بنظام اجتماعى جديد ويتحمون فى تيار معاداه الامبرياليه .

كان اهتمام لينين الدائب ينصب على وحده الطبقه العامله ، وقد ارتكز على خبرة النضال الثورى ودروس سنوات ما بعد ثورة اكتوبر عندما أدت السياسه الانتهازيه لقادة اليمينيين الاشتراكية الديمقراطية الى شق صفوف البروليتاريا وساعدت فى المحافظة على حكم البرجوازية فى كثير من بلدان أوروبا مطالبة الشيوعيين ببذل قصارى جهودهم من « أجل جر جماهير متزايدة من العمال الى النضال ضد راس المال » . ونحن مدينون للينين بفكرة الجبهة المتحدة للطبقة العاملة التى تبنتها الاحزاب الشيوعية . ومع مساندة وحدة العمل بين كل تنظيمات البروليتاريا ، بين احزابها السياسية وتنظيماتها النقابية ، علمنا لينين الا نتنازل عن عقيدتنا وان ندافع عن مبادىء الماركسية الثورية والاممية البروليتارية .

كان الجناح اليمينى للاشتراكية الديمقراطية اثناء حياة لينين ، ولا يزال حتى اليوم ، هو المصدر الرئيسى لنفوذ البرجوازية على البروليتاريا . وتساعد سياسة هذا الجناح موضوعيا الاحتكارات والدولة البرجوازية على السيطرة على الاعمال الثورية للبروليتاريا وتعرقل نضال البروليتاريا من اجل الاشتراكيه ، وتؤيد السياسة الخارجية للامبرياليه ، كما تنتهج طريقا معاديا للشيوعية .
ورغم ذلك ، فان الوعى بالمصالح الطبقيه الحقه ، مصالح النضال ضد الامبرياليه ومن اجل الحقوق الحيويه لجماهير والديمقراطية والسلم ، يتزايد انتشارا وعمقا بين صفوف الاشتراكيين الديمقراطيين ، وتنمو الرغبة لاحياء الجبهة المتحدة للجماهير العاملة بين صفوف جماهير الاشتراكية الديمقراطية وقد حققت المبادرة الشيوعية انجازات واضحة فى هذا السبيل فى عدد من المجالات .

ان الاتجاهات المتطرفة المعنة فى « يســاريتها » التى تمثل كما يقول لينين « نوعا من العقــاب على الجرائم الانتهازية لحركة الطبقة العاملة » تقف عقبــة فى طريق اعادة الوحدة الى صفوف البروليتاريا • والمراجعة اليسارية اليوم غالبا ماتمثل مع الانتهازية اليمينية سلاحا مباشرا للبرجوازية الاحتكارية • ويتطلب النضال من أجل وحدة الطبقة العاملة التغلب على كل من الانتهازية اليسارية واليمينية •

لقد اعتبر لينين اقامة نظام يعتمد عليه من التحالفات التى توحد الطبقة العاملة مع كل الفئات التى تظهر الى الحياة وتعارض سلطة الاحتكارات شرطا ضروريا لانتصار الثورة .

وفى معظم البلدان الراسمالية يظل الفلاحون الحليف الرئيسى للبروليتاريا . لقد أدى انتقال الزراعة الى مرحلة الانتاج الآلى الى سرعة تدهور الفــلاحين . وتدفع الاحتــكارات والدولــة الرأسمالية الجماهير الأساسيه من الفلاحين الى الفاقة والخــراب وهم ينضوون بنشاط تحت لواء القوى المشتركة فى التحـــالف المعادى للاحتكارات .

وتتميز الرأسمالية المعاصرة بنمو المتناقضات بين البرجوازية الاحتكارية والطبقات الوسطى فى المدينة التى تؤيد الطبقة العاملة الثورية بشكل متزايد وفعال . ويلعب المثقفون التقدميون دورا يزداد بروزا بين حلفاء البروليتاريا • وقد عجلت الثورة العلمية والتكنولوجية بانقســام المثقفين فى حدود معينة محولة قسما هاما منهم الى عمال اجراء يخضعون لاستغلال شديد وتزداد مصالحهــم ومواقعهم ارتباطا بالطبقة العاملة .

وينضم الى ركب الثورة مجموعات جديدة من الشباب • انهميعرن تماما وضعهم الاجتماعى المنحط وانعدام الفرص أمامهم ويلعبون دورا نشيطا متزايدا فى النضال ضد النظام الرأسمالى ، ويــدرك الشيوعيون تماما اهمية انطلاق حركة الشباب ، بما فيها حركة الطلبة ويرون فيها عاملا هاما فى النضال العام ضد الاحتكارات . وهم يشاركون بنشاط فى تلك الحركة ناشرين افكار الشيوعية العلمية بين الشبــاب ، ويساعدونهم على التخلص من نفوذ الأفكار اليمنية واليسارية موضحين لهم بلا كلل عدم جدوى حركتهم طالما ظلت منعزلة عن المجرى العام للنضال الثورى للطبقة العاملة .

شدد لينين في تحليله لمجرى المعارك الطبقية في البلدان الراسمالية على أن التناقضات الطبقية ستزداد حدتها بشكل مختوم كما سيزداد الصراع بين الطبقات احتداما . وفى ظل تلك الظروف تنشأ فجأة وتتطور بسرعة أزمات سياسيه حادة ترجع لأسباب متباينة للغاية . وقد قال لينين « حينما تتوافر الظروف الموضوعية لأزمة سياسية عميقة فان ابسط النزاعات التى تبدو وكأنها لا علاقة لها بالأسباب الرئيسية للثورة يمكن أن تكون ذات أهمية قصوى وتلعب دور القشه التى تقسم ظهر البعير » .

وتتحقق نبوءة قائدنا العظيم في أيامنا ، حيث تستعر المعارك الواسعة للجماهير العاملة في معظم البلدان الراسمالية المتطورة أنها تنشأ نتيجة لنمو التناقضات الاقتصادية وعلى أساس السخط العميق للجماهير العريضة على الجو الخانق الذى تفرضه السلطة الشاملة الراسمالية الدولة الاحتكارية . وتتخذ هذه المعارك طابعا تلقائيا فى بعض الأحيان . ويزيد ذلك اليوم من أهمية توجيهات لينين بأن نكون فى مستوى الموقف وأن نعرف ميول الجماهير والا نسمح بأى تخلف عن الحركة الجماهيرية التى تتجمع فيها شحنة ثورية .

١٥ ــ وجهت حركة التحرير الوطنى ضربات خطيرة للنظام الاستعمارى العالمى . ففى عصرنا ، تحولت البلدان التى احتفظ الاستعماريون بها « خارج التاريخ » لفترة طويلة ، كما يقول لينين ، من أهداف للسياسة ، الى مشاركة نشيطة فيها ، وينمو نفوذ الأفكار الاشتراكية والتطبيق الاشتراكى بسرعة فى هذه البلدان .

ولما كانت الامبريالية تحاول التلاؤم مع الظروف الجديدة التى تحدث في البلدان النامية ، فانها تعمل دائما على تغيير تكتيكاتها وهى لا تلجأ الى الأعمال السياسية العسكرية فحسب ، ولكنها تبذل نفقات مادية طائلة بهدف شق صفوف حركة التحرير الوطنى وتحطيم أضعف حلقاتها . ويعتمد السياسيون الامبرياليون فى تلك العملية على الاستفادة من الصعاب المختلفة التى تواجه الدول الوطنية وعلى تخلفها الاقتصادى .

لقد شدد ف.ا. لينين كثيرا على أهمية القسمات الخاصة التاريخية للبدان التى كانت مستعمرات فيما مضى . « ان سيادة العلاقات السابقة على الراسمالية لاتزال هى القسمة الرئيسية

لتلك البلدان ، حتى انها لا تواجه مشكلة وجود حركة بروليتارية نقية . ولا يوجد بهذه البلدان من الناحية العملية أى بروليتاريا صناعية » (المجلد ٣١ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ ، الطبعة الرابعة) .

وفى السنوات القليلة الماضية واجهت كثير من البلدان الفتية فترة من الصراع الطبقى الحاد والارتباكات الاقتصادية ، والانقلابات السياسية والنزاعات القبلية ، وتحاول الامبريالية أن تستغل عدم استقرار الثورات الوطنية وتناقضاتها ، وتلجأ الى تنظيم انقلابات معادية للثورة ، كما تساند الدكتاتوريات العسكرية المعادية للشعب ، وتشجع الاتجاهات القومية والانفصالية وتحاول ان تشل الاتجاهات التقدمية ، وتقف القوى التى تعمل من اجل تطور الاشتراكية ضد السياسة الامبريالية والرجعية . وتؤكد الحياة تماما الطبيعة الهامة للمشكلة التى طرحها لينين ، حول أهمية الاستفادة بمهارة وفى ظروف خاصة من الدول المتحررة حديثا ، كجزء من المبادىء العامة للاستراتيجية الثورية .

وكتب لينين يقول « سيكون من الخطأ القول بأن الشعوب المتخلفة لابد بالضرورة من أن تمر بمرحلة التطور الرأسمالى » (المجلد ٣١ ص ٢٤٤ ، الطبعة الرابعة) .

ولقد أكد التاريخ هذا الاستنتاج الذى خرج به لينين . ففى المرحلة الجديدة تستطيع الشعوب التى ألقت عن كاهلها نير الاستعمار أن تسير فى طريق التقدم الاجتماعى وان تتخطى الرأسمالية اذا ما تزعمتها قوى ثورية ، واذا ما حظيت بمساندة الاشتراكية العالمية . ان بعض الدول التى اختارت هذا الطريق لتطورها قد أممت الصناعات الثقيلة والمتوسطة فى بعض الحالات، كما قامت باجراء اصلاحات زراعية . وهى تشجع تعاون الفلاحين وتفرض القيود على رأس المال الأجنبى والبرجوازية المحلية .

ومع ذلك ، فليس بكاف قبل الانتقال الى الاشتراكية ، القضاء على ملكية المستغلين وتأميم وسائل الانتاج كما يقول لينين .

« .. ولكى نحقق ذلك يجب اتخاذ خطوات ضخمة فى اتجاه تطوير القوى المنتجة ، ولابد من التغلب على مقاومة المخلفات العديدة للانتاج الصغير (وغالبا ما تكون تلك المقاومة سلبية ولكنها عنيدة ، ومن الصعب التغلب عليها) ، ولابد من التغلب على القوة الهائلة للعادة وروح المحافظة التى ترتبط بهذه المخلفات . (المجلد

٢٩ ــ ص ٤٢١ الطبعة الرابعــة) . ان الطريق نحو انتصــار الاشتراكية فى الدول القومية يشمل فترة تاريخية من مراحل التطور الاجتماعى الانتقالية تنضج خــلالها الشروط الاجتماعية والمادية للاشتراكية بالتدريج ، وتظهر الطبقة العاملة ومعها مثقفون مخلصون للشعب .

وكانت استنتاجات لينين حول ان ضمان النجاح أمام ثورات التحرير الوطنى انما يكمن فى المشاركه النشيطة للجماهير وخاصة الطبقة العاملة التى يتزايد عددها ، وحول قيادة المجتمع وحول التحالف مع الفلاحين ، وحول اقامة ديموقراطية واسعة ، وحول ضمان مساندة الاشتراكية العالمية وحركة الطبقة العاملة العالمية ، كانت هذه الاستنتاجات على جانب كبير من الأهمية .

١٦ ــ ان مصدرا هاما لقوة اللينينية التى لا تقهر هو انها تحمل فى صميم جوهرها الاممية البروليتارية . وقد اعتبر لينين أن الالتزام الدقيق بمبادىء الاممية انما هو مقياس للروح الثورية فى عصرنا ، وضمان لانتصار الطبقة العاملة . « ان رأس المال يشكل قوة دولية . ولكى نقهره ، فاننا نحتاج الى تحالف دولى للعمال الى اخوة عمالية اممية » (المجلد ٣٠ ــ ص ٢٩٣ ــ الطبعة الرابعة) .

واعتبر لينين ان العقبة المحورية فى السياسة الاممية تكمن فى التزاوج بين القسمات القومية والأممية فى نشاط الاحزاب البروليتارية وكل فصائل الحركة الثورية . وكما وقف بحزم ضد كافة اشكال العدمية القومية . وعلم لينين الثوريين أن يأخذوا فى اعتبارهم باستمرار المصالح القومية وان يدافعوا عن مبادىء المساواة بين كل الأمم وعن حقها فى الاستقلال والتطور المستقل . ووضح أن النضال من أجل الاشتراكية ، ومن أجل بنائها والدفاع عنهــا كان ولا يزال افضــل طريق للدفاع عن المصــالح الوطنية للشعب . ان الحل الفعال لمشكلة التحرر الوطنى والاجتماعى فى كل بلد ، من قبل كتيبتها الثورية ، هو شرط لا غنى عنه للنضال من أجل المصالح المشتركة للثورة الاشتراكية العالمية .

وفى نفس الوقت أكد لينين ان السياسة الأممية لا تقف عند حد المساهمة القومية فى القضية المشتركة للبروليتاريا العالمية . ان الاخلاص للاممية البروليتارية يتضيــمن ارتباط كل الكتائب

القومية للمناضلين الثوريين فى اتحاد واحد كى يحققوا الانتصار على الامبريالية الدولية .

ان على البروليتاريا ـ ليس فقط فى الدول الكبرى وانما كذلك في الدول الصغرى ـ وهى تناضل من أجل حقوقها ومصالحها القومية أن تتذكر واجبها كما يقول لينين « فى الكفاح ضد ضيق أفق الأمم الصغرى ، وضد الانغلاق والعزلة ، وان تضع فى الاعتبار الكلى والعام . وتخضع المصالح الخاصة للمصالح العامة » (المجلد ٢٢ ـ ص ٣٤٧ ـ الطبعة الرابعة) . واى نظره اخرى انما تعنى الانزلاق الكامل الى القوميه ، التى تعتبر عدوا قاتلا للقضيه الثوريه والقومية « بتكتيكاتها القائمة على التجزئة والانفصال ٠٠ تبطل من فعل النداء العظيم لتجميع ووحدة بروليتاريا كل الأمم وكل الأجناس واللغات » (المجلد ٦ ـ ص ٥٢١ ، الطبعة الرابعة) .

ان الأممية البروليتارية تحتل أهمية خاصة في الوضع الراهن ، اذ انها تتحول الى شرط أساسى للتقدم الاجتماعى ، ولتماسك كل القوى الثورية لمزيد من الهجوم ضد الامبريالية .

ولقد برهنت التجربة الثورية العملية ، ابتداء من ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى (التى كانت أول ثورة فى التاريخ تقدم نموذجا للتزاوج بين كل الحركات الثورية والديمقراطية) على صحة وجدوى النظرة اللينينية فيما يتعلق بمسألة وحدة القوى الثورية . أن نجاح الثورات الاشتراكية فى عدد كبير من الدول ، ونجاحات حركة الطبقة العاملة الثورية ، وانتصار ثورات التحرر الوطنى ، واقامة دول ديموقراطية وطنية ـ كل ذلك كان ثمارا للوحدة والتعاون والمعونة المتبادلة بين كل قوى الثورة الاجتماعية العالمية .

ان التضامن الدولى كان وسيظل حجر الأساس فى حركة العمال والحركة الشيوعية العالمية . وفى الوقت الذى اشار فيه لينين الى اهمية أن يأخذ كل حزب فى اعتباره القسمات التاريخية المحددة والملامح الخاصة للاوضاع التى يعمل فيها ، دعا الى وحدة التكتيكات الدولية فى الحركة الشيوعية . وتتلخص مهمتنا كما جاء فى كتابه « الشيوعية اليسارية ، عبث أطفال » فى معرفة كيف نطبق المبادىء العامة والأساسية للشيوعية على العلاقات الخاصة بين الطبقات والأحزاب ، على القسمات الخاصة فى التطور الموضوعى نحو الشيوعية ، التى تختلف فى كل بلد والتى لابد

وأن نكون قادرين على اكتشافها ودراستها والتنبؤ بها » (المجلد ٣١ ـ ص ٨٩ . الطبعة الرابعة) . والوحدة فى قسماتها الرئيسية والاساسية والجوهرية ، لا يحد خرقها ، وانما يجب ضمانها ، كما يقول لينين عن طريق التباين فى التفاصيل ، وفى الظروف المحلية ، وفى أساليب تناول المسائل .

وتنمو أهمية الوحدة بين القوى الثورية فى مجرى التطور التاريخى . وكلما نضجت الشروط اللازمة للتغيير الثورى ، وزادت نجاحات المناضلين من أجل وضعه موضع التنفيذ ، كلما زادت مقاومة العدو الطبيعى نشاطا . وبالتالى فمن المهم أن نضمن تعاونا وطيدا بين الثوريين .

منذ نصف قرن مضى اعتبر لينين انه من الضرورى ان يتضمن النداء النضالى المجرب للشيوعيين « يا عمال كل البلدان اتحدوا» ند لشعوب المسـ ت و لبلدان التابعة ليصبح « يا عمال كل البلدان والشعوب المقهورة اتحدوا » وفى الوقت الحاضر ، صاغت الحركة الشيوعية الدولية المخلصة لافكار ماركس ـ انجلز ـ لينين شعارا جديدا يتناسب مع المفهوم الواسع الحديث للاممية البروليتارية الثورية : « ياشعوب البلدان الاشتراكية ،ايها البروليتاريون ، وياكل القوى الديمقراطية فى البلدان الراسمالية والشعوب المستقلة حديثا والمستعبدة ـ انضموا الى الجبهة العامة للنضال ضد الامبريالية ومن أجل السلم والاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى ، والديمقراطية ، والاشتراكيه !»

١٧ ـ تأسست الدولية الشيوعية الثالثة على أساس مبادرة لينين لتربط بين الماركسية اللينينية وحركة العمال الدولية على نطاق العالم ، وحل الكومنترن نجاح المشاكل التى تواجهه : فقد احيا الطبيعة الدولية لحركة العمال ، وانقذ مجتمعاتها الثورى الذى خربته خيانة قادة الدولية الثانية . وفتح آفاقا ثورية للجماهير العاملة في العالم الرأسمالى . وكشف عن طرق محددة وواضحة للنضال فى الظروف التاريخية الجديدة . وقد قام بعمل ضخم من أجل خلق وتدعيم الاحزاب الشيوعية ايديولوجيا وتنظيما . ودعا الكومنترن الشيوعيين والجماهير العاملة فى كل البلدان الى التصدى للدفاع عن أول بلد اشتراكى فى العالم . . . . . .

وقدمت الدولية الشيوعية طوال نصف قرن . مسترشدة بأفكار لينين ، اجابات واضحة على المسائل الرئيسية التى طرحتها الطبقة

العاملة والبشرية حول الحرب والسلام ، وحول النضال من اجل الديمقراطية وضد الفاشية ، وحول تطور حركة التحرر الوطنى ، وحول دور الاشتراكية وطرق قيادة الجماهير نحو الثورة الاشتراكية . واصبحت كثير من الافكار التى قدمها الكومنترن جزءا من ترسانة الماركسية اللينينية .

ووفر الكومنترن تربية لينينية لكثير من الاحزاب الشيوعية التى حافظت على الاتجاه الثورى فى حركة العمال الدوليه ، وطورته ودعمته وتحت قيادة مثل هذه الاحزاب فحسب ، كما يقول لينين « ستتمكن البروليتاريا من اظهار القوة الكاملة لهجومها الثورى ، وعندئذ فقط سيكون فى مقدورها التعبير عن قوتها الكاملة .. » (المجلد ٣١ ص ١٨٨)

أعطى ف . ا . لينين اهتماما دائما لتأسيس وتطوير الحركة الشيوعية العالمية ، كما صاغ المبادىء الرئيسية لنشاط الحزب الماركسي ذى الطراز الجديد .

والحزب الماركسى اللينينى فى عصرنا هو :

● حزب ثورى يوجه كل نشاطه من اجل اعداد البروليتاريا « للاستيلاء على السلطة السياسية . فى شكل دكتاتورية البروليتاريا . » (المجلد ٣١ ص ١٩٨) . ومثل هذا الحزب هو تجسيد للاخلاص المتفانى للثورة ، وللشجاعة التى تقوم على انكار الذات والتصميم .

● طليعة واعية للطبقة ، طليعة ترتبط ارتباطا وثيقا بالجماهير وتقودها ، وقد سعى لينين لأن يكون الحزب « طليعة للبروليتاريا الثورية دون ان يسمح بانفصاله عن الجماهير ، وانما على العكس ، بربطه أكثر وأكثر بالجماهير ، وتشريبها الوعي الثورى واستثارتها للنضال الثورى » (المجلد ٣٣ ص ٢٠٩)

● حزب اممى « يشكل النضال ضد التحريفات السلمية الانتهازية والبرجوازية الصغيرة لمفهوم وسياسة الامية ، مهمة اساسية وجوهرية » بالنسبة له كما يقول لينين (المجلد ٣١ ص ١٤٩)

● تنظيم موحد للمعارك مبنى على أساس المركزيةالديمقراطية وقادر على صقل الطبقة العاملة والجماهير العاملة فى النضال الثورى . حزب لايعرف مهادنة مع أى شكل من أشكال الانتهازية أو النشاط الانقسامى . أن ما يتفق مع افكار الماركسية ومجراها العملى هو كما أكد لينين « حزب سياسى ماركسى يقوم على المركزية » . (المجلد ٣٠ص٦٢)

● انه حزب يمرس نفسه بلا كلل على فن استخدام المبادىء العامة للماركسية فى ظروف محددة ، حزب قادر على أن يدافع فى اى ظرف عن الأهداف النهائية لحركة العمال . وقد ادان لينين بشكل حاسم « محاولات وضع مطالب محدودة فى البرنامج كمحاولات انتهازية ، كما ادان أى محاولة لاستخدام المطالب المحدودة لطمس المهمة الثورية الأساسية أو جرها الى طريق جانبى . » (المجلد ٤٢ ص ٤٢٨)

ان الحزب الشيوعى يرفض كلا من الفرضيتين الانتهازيتين « الحركة الى الامام تعتبر كل شىء ، والهدف النهائى لا شىء » والتحزب الجامد الذى ينتظر فى سلبية احداثا عظاما رغم عجزه الكامل عن حشد وتدريب القوى من أجل تحقيقها .

والحركة الشيوعية العالمية الحاضرة ، التى تتطور على أساس أفكار لينين ، قد تحولت الى قوة سياسية هائلة ذات تأثير كبير فى عصرنا . واصبحت اللقاءات الدولية علامة طريق رئيسية فى تطور الحركة الشيوعية . ان وثائق تلك اللقاءات قد تناولت المشاكل الرئيسية لتراث لينين الايديولوجى .

ومن أجل تدعيم مراكز الأحزاب الشيوعية ومن أجل هجوم واسع النطاق ضد الامبريالية يلعب نضال تلك الاحزاب من أجل الوعى الاشتراكى للطبقة العاملة ، وضد الايديولوجية البرجوازية دورا متزايد الأهمية . ويتخذ نشر الايدلوجية الماركسية اللينينية العلمية بين الجماهير ، والنضال من أجل الاستحواذ على قلوب وعقول الناس ابعادا أوسع واهمية أكثر فى الوقت الحاضر بشكل خاص .

ان الصراع بين الايديولوجيتين ـ الاشتراكية والبرجوازية ـ يعكس ، كما اكد لينين ، عدم امكانية التوفق بين المواقف الطبقية للبروليتاريا والبرجوازية ، وتعارض نظاميهما الاجتماعيين ، وفى

طريقَ التمكن من الايديولوجية الاشتراكية فحسب يمكن للجماهير العاملة أن تنتقل من ادراك احتياجاتها الجارية ومشاكلها العاجلة الى التحقق من مصالحها الرئيسية واهدافها التاريخية ، وفى مجتمع يوجد فيه صراع الطبقات لاتوجد ولايمكن ان توجد ايديولوجية غير طبقية أو فوق الطبقات . « وعلى ذلك ، فان التقليل من شأن الايديولوجية الاشتراكية بأى حال ،والابتعاد عنها لاقل درجة ،يعنى كما يقول لينين – تقوية الايديولوجية البرجوازية » (المجلد ٥ ، ص ٢٨٤)

تحتفظ البرجوازية الامبريالية بسلطتها على شعوب بلدانها بالقوة والخديعة على السواء • وهى تلجأ بشكل متزايد الى الوسائل الايديولوجية لاستعباد الجماهير ،كما تلجأ الىالتعبئةالايديولوجية الكاملة لكل القوى الرجعية تحت راية معاداة الشيوعية ومعاداة السوفيت •

وفى الصراع الايديولوجى ليس هناك مكان للحياد او المهادنة . فالماركسيون اللينينيون يرفضون الفرضية الانتهازية عن التعايش السلمى فى المجال الايديولوجى • وتعتبر روح اللينينية البناءة ، والتطوير المستمر للنظرية الماركسية اللينينية واثرائها على اساس تعميم التجربة التاريخية الجديدة ، امضى سلاح ضد الايديولوجية البرجوازية .

لقد تطورت الحركة الشيوعية فى صراع ضد الاصلاحية ، وضد كافة أشكال الانتهازية ، والمراجعة اليمينية واليسارية

والمراجعة المعاصرة تتمثل « أفكار مختلف الاتجاهات المعادية للينينية التى لقيت الهزيمة فى ازمنة سابقة ، فى صراعها المفتوح مع الماركسية اللينينية . وتحاول المراجعة عن طريق الاستفادة منها أن تتسلل داخل الأحزاب الشيوعية كى تفرض عليها طريقها، مستفيدة من مظاهر عدم النضج الايديولوجى والجمود • والمراجعه ، كما يقول لينين ، تعنى دائما التسليم السياسى أمام الصعوبات وامام العدو الطبقى انها تمثل تراجعا من المواقع البروليتارية ، وهى استبدال الماركسية بالمفهومات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة• والمراجعة نظريا تمهد الطريق للتطبيقات الانتهازية لانها تسعى جاهدة لربط حركة العمال بالنظام السياسى الرأسمالى •.

وفى مواجهة الامبريالية والانقسامية ، يرفع الشيوعيون عاليا فى مختلف البلدان رأيه تنسيق مواقفهم السياسيه والنظرية ، وتماسك صفوفهم . وأفضل سبيل للتغلب على الخلافات فى الحركة الشيوعية الدولية هو النضال العملى من أجل اهداف مشتركة . والوحدة ليست اعلانا او مجرد عبارة ، انها تكتسب من خلال النضال والعمل المشترك .

٤ ـ على طريق لينين ـ صوب الشيوعية

١٦ ـ ان بناء الشيوعية هو هدفنا العام .لقد نظر لينين الى الشيوعية باعتبارها النتيجة الطبيعية لتطور الاشتراكية ، والكشف عن الفرص والمزايا الكامنة بها وتحقيقها . ويلزم الانتقال نحو الشيوعية تحضير طويل وجاد للشروط المادية والمعنوية الضرورية ويستهدف كل نشاط حزبنا النظرى والسياسى تحقيق هذه الغاية .

والمفهومات الشيوعية لا علاقة لها « بفلسفه » الفريسيين عن الفقر باعتباره « نعمة » ولا بالعبادة البرجوازية المتعصبة للثروة . ان الثروة المادية فى الفهم الماركسى اللينينى انما تخلق لاشباع الحاجات المعقولة للشعب وهى شرط لازم لتطور القدرات البشرية وازدهار الفرد .

ولقد صاغ الحزب أفكار لينين حول جوهر ومبادىء الشيوعية وحول أشكال وأساليب بنائها فى برنامج موحد قائم على أساس علمى من أجل بناء مجتمع شيوعى . ويشكل هذا البرنامج أساسا لحل المشاكل السياسية والاقتصادية والايديولوجية الهامة التى شدد عليها المؤتمر الثالث والعشرون باعتبارها مركز اهتمام الحزب.

اعطى لينين اهتماما حاسما لبناء الأساس الاقتصادى لنظام الشيوعى . « اننا نفهم الشيوعية فقط عندما ترتكز على الحقائق الاقتصادية » (المجلد ٢٩ ص ١٩١) . ان التطور الشامل للقوى المنتجة ، والزيادة الضخمة فى انتاجية العمل المرتكزة على آخر منجزات العلم والتكنولوجيا لازمان فى رأى لينين للانتقال الى مرحلة اعلى من المجتمع الشيوعى . ولقد اكد لينين ان « الشيوعية هى الانتاجية الأعلى للعمل ـ بالمقارنة مع ما يوجد فى ظل الراسمالية ـ للعمال الاحرار الواعين طبقيا والمتحدين والذين يستخدمون تكتيكات متقدمة » (المجلد ٢٩ ، ص ٤٢٧)

ان الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ، وهو يتقدم على طريق اللينينية ، يعتبر خلق الاساس المادى والتكنيكى المهمة الرئيسية فى بناء الشيوعية . ان جوهر سياسة الحزب الاقتصادية يتخلص فى ضمان مزيد من التقدم فى الصناعة ، ومعدل ثابت لتطور الزراعة ، وعلى أساس ذلك تحقيق انطلاقة ضخمة فى مستوى معيشة الشعب ، واشباع الحاجات المادية والثقافية للشعب السوفيتي بدرجة أفضل ، وذلك على اساس الانتاج الاجتماعى بكامله ، وتحسين كفاءته وانتاجية العمل .

ان اقتصاد الاتحاد السوفيتى قد دخل فى الوقت الحاضر مرحلة يشكل فيها تكثيف الانتاج لدرجة عالية الاتجاه الرئيسى فى تطوره . ويتطلب ذلك تغييرات نوعية عميقة فى الاقتصاد القومى بكامله ، فى كل قطاعاته : اقامة اكثر اشكال تنظيم وادارة الانتاج ترشيدا ، وضمان تقدم تكنيكى شامل ، والاستفادة العلمية من آخر المعلومات التى يقدمها العلم ، وزيادة تصنيع كل فروع الاقتصاد ، وتحسين نماذج الفروع الداخلية والمشتركة ونسبهافى الاقتصاد القومى . واطراد تخصص الانتاج والاستفادة الفعالة من الموارد المادية .

وتتطلب بناء الشيوعية الاستفادة على نطاق واسع من منجزات الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة التى تحمل معها تغييرات نوعية فى تكنولوجيا الانتاج ، وتوليد القوى ، وادوات العمل ، وتنظم الادارة وفى طبيعة أوجه نشاط الشعب . كما انها تؤثر بصورة عميقة على تكوين العامل وتسهل تحسين تربيته وثقافته، وتعطيه نظرة علمية وتكنيكية اوسع .

ويعتبر تحول العلم بشدة الى قوة انتاج مباشرة فى المجتمع احدى السمات المميزة لعصرنا . ويتوقف معدل نمو الاقتصاد اليوم بدرجة كبيرة على معدل الابحاث واستخدام نتائجها فى الانتاج .

ان العلم والتكنولوجيا قد تحولت فى عالمنا المعاصر الى مجال رئيسى للمنافسة بين النظامين الاجتماعيين الرئيسيين المتعارضين، وسيحدث صراع طويل ودائب فى هذا المجال . ان المهمة السياسية والاقتصادية الرئيسية تتمثل فى ادخال العلم الى المجالات المختلفة

للحياة الاجتماعية ، والاستفادة بدرجة اكبر من فرص التقدم العلمي والتكنولوجي لزيادة سرعة التطور الاقتصادى ، واشباع حاجات كل افراد المجتمع . ان الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي في قيادته لبناء الشيوعية انما ينطلق من تعليم لينين حول « ان العلم لن يظل كتابا مهملا او عبارة تقليدية مأثورة .. وان العلم سيصبح بحق جزءا من وجودنا ، سيصبح بالفعل وبشكل كامل عنصرا من عناصر حياتنا الاجتماعية » (المجلد ٣٣ ص ٤٨٩) . ولكى ندير الاقتصاد بطريقة لينينية ، بطريقة شيوعية ، يجب أن نرتكز على العلم .

١٩ ـ ان بناء الشيوعية يعنى تحسننا فى كل نظام العلاقات الاقتصادية في المجتمع الاشتراكى . وقد اشار لينين الى ان الاشتراكية تمثل « طرازا ارقى من التنظيم الاجتماعي للعمل بالمقارنة مع الراسمالية . وهذا هو المهم ، وهذا هو مصدر القوة والضمان لحتمية انتصار الشيوعية . » (المجلد ٢٩ ص ٤١٩)

ان النمو الهائل للقوى الانتاجية فى بلادنا وتطور الثورة العلمية والتكنولوجية يتطلب بشكل عاجل زيادة تحسين أساليب واشكال ادارة الاقتصاد . ودلك هو هدف الاصلاح الاقتصادى الذى يجرى تنفيذه طبقا لقرارات الدورتين الكاملتين لبجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتى فى مارس وسبتمبر ١٩٦٥ وقرارات المؤتمر الثالث والعشرين للحزب . وتدعيم دور التخطيط الطويل المدى باعتباره الشكل الرئيسى لتخطيط الدولة العام ، يؤدى الى التنبؤ ، استنادا الى العلم ، بتطور الاقتصاد والمجتمع لفترة طويلة من الزمن .

اعطى ف.ا.لينين اهمية خاصة للتنافس الاشتراكى بين الجماهير العاملة في تطوير الانتاج الاجتماعى .

والحزب ، مسترشدا بتعاليم لينين ، يسعى الى الاستفادة الكاملة من كل اشكال الحوافز المادية والمعنوية للعمل ، والى تطوير التنافس الاشتراكى الذى يفتح أفاقا واسعة للمبادرة والابتكار الخلاق . ومن الضرورى ان تنظم الادارة نكاملها بطريقة تجعل « كل عامل واع سياسيا بشعر ـ كما يقول لينين ـ انه ليس سيدا فى مصنعه فحسب ، ولكنه كذلك ممثل للبلاد يشعر بمسئوليته . » (المجلد ٢٧ ، ص ٤٠٣)

ان بناء الشيوعية قضية كل الشعب ، قضـــية كل مواطن سوفيتي ، ويتوقف انجاز البرنامج الاقتصادي للشيوعية على وعيه ومبادرته وثقافته ومهارته المهنية .

ان تحولات عميقة تجرى فى الزراعة . فالانتـــاج الـزراعى يكتسب بدرجة متزايدة طابعا صناعيا ، وتجهيز الزراعـــة يزداد على الدوام . ويجرى تنفيذ برنامج طويل المدى لتحسين التربة ، وادخال المخصبات ، وزيادة كفاءة الزراعة وتربية الماشية . وتزداد القوة الاقتصادية لمزارع الدولة . كما يزداد التحـــول الى الشكل الاشتراكى لملكية المزارع التعاونية الجماعية نتيجة لنمو الميزانية الموحدة للمـزارع الجماعية وتطور المزارع الجمـاعية للدولـة ، والروابط بين انتاج المزارع الجماعيه . ويبذل الحـــزب كل ما فى وسعه من اجل زيادة تطور الزراعة . ويعتبر المؤتمر الثالث لعموم المزارع الجماعية الذى تبنى اللوائح النموذجية الجديدة للمزرعة الجماعية كقانون لحياة المزرعة الجماعية فى مرحلة بناء الشيوعية حدثا هاما فى حياة الريف ، بل وفى حياة البلاد السوفيتية كلها .

والى جانب نمو انتاجية العمل والثروة الاجتماعية ، هنـــاك ارتفاع مطرد فى رفاهية الشعب ، اذ تتحسن ظروف المسكن من سنة لأخرى ، ويتحسن المبدأ الاشتراكى للتوزيع وفقا للعمل ، كما تتزايد الاعتمادات العامة المخصصة للاستهلاك . وكان من الممكن لتلك الانجازات أن تكون أفضل ، لو اتيحت لها الفرصة للاستفادة من كل موارد البلاد من أجل تطوير الاقتصاد ، وتحسين مستوى المعيشة ورفع مستوى الثقافة . فالدولة مجبرة على تخصيص اعتمادات ضخمة للدفاع للاحتفاظ به فى أعلى مستوى حديث .

٢ ــ علمنا لينين أن المنجزات الاقتصادية فى بناء الشيوعية تعتمد لدرجة كبيرة على الحل الناجح للمشـــاكل الاقتصـــادية والاجتماعية ، وتتطور البنية الطبقية للمجتمع خلال عملية بنـاء الشيوعية نحو التماثل الاجتماعى . ويجرى تنفيذ فكرة لينين عن القضاء التدريجى على الاختلافات الرئيسية بين العمل العقلى والعمـــل اليدوى .

ان تطور الانتاج المادى على أحدث الأسس التكتيكية ، والزيادة الملموسة فى انتاجية العمل يسهلان تطور شكل الملكية نحـــو خلق ملكية شيوعية واحدة ، ونحو تقريب الظروف الثقافية والمعيشية بين سكان الريف وسكان المدن ، ونحو تغيير طبيعة العمـــــل ، والقضاء التدريجى على الفوارق الطبقية .

وكما تنبأ لينين ، تشهد بلادنا اليوم زيادة ازدهار وتقارب القوميات الاشتراكية وتوسيع علاقاتها . وكلما زادت تلك العلاقات وثوقا ، وكلما زاد فهم مشاكل البلاد ، كلما أمكن التغلب بنجاح على مظاهر ضيق الأفق والذاتية القومية .

ان حزبنا وهو ينفذ بدأب سياسة لينين التقدمية لايعرف هوادة حيال اى مظهر من مظاهر القومية والشوفينية ، والعزلة القومية ، وحزبنا يعلم الشعب العامل بروح الحب لبلادهم الاشتراكية والاخوة بين الشعوب الحرة ، لقد انتجت الاشتراكية طرازا جديدا من الوطنية تلتحم عضويا مع الأممية .

ان كل عمل مجتمعنا وحياته السياسية والاجتماعية تقوم على الأساس الصلد للديمقراطية الاشتراكية . « وكلما زادت مسئولية هذه المشكلة التاريخية الجديدة - كما يقول لينين - كلما زاد بالضرورة عدد الذين يساهمون بشكل مستقل فى حلها » (المجلد ٢٧ ص ٤٦٩) .

أن الديموقراطية الاشتراكية ترتكز على الانضباط والتنظيم الواعى للطبقة العاملة . ويهتم الحزب بشكل مبدئى كما يؤيد تأييدا مطلقا تطور النقد والنقد الذاتى للنواقص والاخطاء ، ولكل شىء تافه وبال يعوق عملنا . والحزب فى جميع نواحى نشاطه ، وكما طلب لينين ، يستأصل بداب البيروقراطية ، ونقص التنظيم ، والروتين ، والاهمال فى العمل والرغبة فى احلال الثرثرة محل العمل الحقيقى . وتتمثل احدى الوظائف الهامة للدولة الاشتراكية وللرأى العام ، والواجب الدائم للانسان السوفيتى ، فى تقدير سياسى طبقى للظواهر المعادية للمجتمع والغريبة على الاشتراكية مثل نهب الملكية الاشتراكية والسعى وراء المال ، وخرق قواعد العمل والنظام العام وفى النضال ضد تلك الظواهر السلبية .

ان اتساع المهام التى تتطلب الحل وتعقدها ، يزيد من دور الطليعة الواعية المنظمة فى حياة مجتمعنا - الحزب اللنينى للشيوعيين . ويعطى الحزب المسلح بالنظرية الماركسية اللينينية والخبرة السياسية الغنية كل الاعمال التى تبنى الشيوعية طبيعة مخططة وهادفة .

٢١ - اعتبر لينين بناء الشيوعية مهمة معقدة ترتبط فيها حل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ارتباطا عضويا بصياغة انسان

جديد ، وبتعليم وتربية الشعب باعطائهم « تطوراً شاملا وتدريبا شاملا » (المجلد ٣١ ، ص ٥٠) .

شاملا » (المجلد ٣١ ، ص ٥٠) . وتلعب الايديولوجية الشيوعية دورا نشيطا فى هذا العمل التربوى .

أن الايديولوجية الماركسية اللينينية تعبير دقيق عن المصالح الأساسية للطبقة العاملة ، وكل الشعب العامل ، وهى فى نفس الوقت تلك النظرية العلمية المختبرة فى التجربة الاشتراكية ،التى تقدم صورة موضوعية حقه للعالم ، وتعتبر مرشدا يمكن الاعتماد عليه فى النشاط العملى .

ولقد شدد المؤتمر الثالث والعشرين للحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى على أن تربية الشعب العامل بروح الـوعى الطبقى العالى والموقف الشيوعى تجاه العمل يجب ان تحتل مكان الصدارة فى عمل حزبنا الايديولوجى .

وتجرى امام أعيننا صياغة نظرة شيوعية للعالم واخلاقيات شيوعية فى ظروف الصراع الايديولوجى المحتدم فى المجالالدولى.

ويتطلب ذلك سياسة طبقية ثابتة فى المسائل المتعلقة بالتربية انه يتطلب الوضوح والدقة فى المواقف الايديولوجية ، وزيادة رفع اليقظة الثورية ، والنضال الدؤوب ضد اللامبالاة فى السياسة ، وضد بقايا الملكية الخاصة واتجاهات ضيق الافق ، وضد مظاهر الموقف العدمى تجاه مكاسب الاشتراكية وتسلل الأفكار البرجوازية والمراجعة .

ان الصفات السياسية والمعنوية النبيلة والمبادىء الانسانية والمقاييس الاخلاقية للانسان السوفيتى بصوغها النظام الاشتراكي بأكمله ، وتتشكل قبل كل شيء خلال عملية المشاركة النشطة للشعب العامل فى الانتاج والحياة السياسية والاجتماعية وتعتمد على محتوى ومدى النشاط الايديولوجى لتنظيمات الحزب .

ويشدد حزبنا دائما على الحاجة الى الوحدة العضوية لحل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وللنشاط التربوى الايديولوجى .

ان فعالية نفوذ الحزب الايديولوجى ، وفعالية نشاط الحزب الايديولوجى تعتمد بشكل مباشر على مستوى العمل النظرى ، وعلى الصياغة العلمية للمشاكل العاجلة للبناء الشيوعى . لقد أشار لينين الى أنه يجب على الحزب « أن يدعو دائما للايديولوجية البروليتارية ، مذهب الاشتراكية العلمية أى الماركسية ، ويدافع

عنها ضد الانحرافات ويعمل على تطويرها . »
(المجلد ٦ ص ٢٦٩ ــ الأعمال الكاملة ــ الطبعة الروسية)

وتنفيذا لوصية لينين ، يكرس الحزب الشيوعى للاتحاد السوفيتى اهتماما كبيرا للتفسيرات النظرية للنشاط العملى ولكى تتمكن كادرات الحزب وكل الشيوعيين من اساسيات النظرية الماركسية اللينينية ، ولتحسين التربية السياسية ، والاعلام السياسى ، ونشاط أجهزة الصحافة والراديو والتلفزيون .

ويهتم الحزب بشكل دائم بتحسين التعليم العام والعالى ويبذل كل ما فى وسعه حتى يتجاوب لاقصى درجة ممكنة مع مطالب البناء الاشتراكى والتقدم العلمى والتكنولوجى الحديث .

اعطى لينين اهمية كبيرة للاداب والفنون فى خلق الشروط الروحية اللازمة للشيوعية ، وفى تربية الانسان الجديد . ان مجتمعا يبنى الشيوعية ليهتم بدرجة عميقة بازدهار الاداب والفنون ، وبكل اشكال الخلق الابداعى ، وتتحدد قيمتها الاجتماعية ببنائها الفنى .. العالى ، وتحيزها الايديولوجى ، وغيرة الحزب على تأكيد المثل الشيوعية .

ولكى تتعلموا الشيوعية اليكم تعليمات لينين الى اعضاء عصبة الشباب الشيوعى ، الى الشبان والشابات ان الصناعة ، والتعطش للمعرفة ، والافتناع الايديولوجى ، والتفانى للوطن ، والأممية هى صفات الشباب الشيوعى . وهى دليل بارز على أن الشباب ينفذ باخلاص وصايا لينين ، وانهم يسعون لأن يعيشوا ويعملوا بالطريقة التى علمهم لينين العظيم .

لقد كتب لينين « اننا حزب المستقبل والمستقبل ملك للشباب اننا حزب المجددين ، والشباب دائما متعطش لاتباع المجددين »
(المجلد ١١ ص ٣٥٤) .

واعطى الحزب عناية فائقة للمساهمة الواعية للشباب فى الحياة السياسية والاجتماعية كما انه يثق فى قوتهم وامكانياتهم . انه يضع فى اعتباره المهمة التى وضعها لينين ، مهمة التربية الشيوعية الشباب «لتدريب جيل قادر تماما على بناء الشيوعية» (المجلد ٢٩ ، ص ١١١) . باعتبار ذلك مهمه حيوية للحزب على النطاق القومى .

اننا نواجه ونحن نبنى الشيوعية ، كما يقول لينين أضخم عمل واجهناه حتى الآن ، وتطرح الحياة مهام ومشاكل جديدة تتطلب

دراسة عميقة وحلولا خلاقة . والضمان للتقدم الناجح نحـو الأمام يعتمد على الدور القيادى للحزب الشيوعى . لقد حقق الشعب السوفيتى وهو يتقدم على طريق لينين وتحت قيـادة الحزب انتصار ثورة أكتوبر والاشتراكية ونحن نتقدم على طريق لينين وسنصل الى الشيوعية .

ان افكار لينين وقضيته الخالده ، ومنجزات حياته العظيمة تشكل معينا لا ينضب للالهام والتفاؤل بالنسبة للشعب السوفيتى وللجماهير العاملة فى العالم أجمع .

ان عبقرية لينين الساطعة تضىء طريق النضال والابـداع الثـورى .

ولكى يحيا المرء ويناضل على طريق لينين فان ذلك يتطلب منه تكريس كل قوته ومعرفته وطاقته لأكثر القضايا انسانية وعـدلا على الأرض ـ للنضال من أجل التحرير الكامل للجماهير العـاملة من الاضطهاد والاستغلال ومن اجل انتصار المثل الشيوعية . ومن أجل مستقبل أفضل للبشرية .

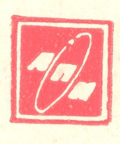
ان الشعب السوفيتى يواصل قضية لينين حين يضاعف بعمله الدؤوب الثروة العامة ، ويطور الديمقراطية الاشتراكية والعـلم والثقافة ، ويبدى اهتماما لا يعرف الكلل من أجل دعم القـوة الدفاعية للوطن السوفيتى . ويبنى حياة جديرة بالانسان .

ان الشعب السوفيتى يواصل قضية لينين تحت قيـادة الحزب الشيوعى ، حين يوحد صفوفه بدرجة أكبر ويدعم الأخوة والصداقة بين شعوب الاتحاد السوفيتى .

ان الشعب السوفيتى يواصل قضـية لينين حين يدعـم التضامن الاممى بين شعوب البلدان الاشتراكية ، ومع الطبقـة العاملة الدولية ومع المناضلين من أجل الديمقراطية والتحـرير الوطنى ، من اجل السلام الدائم والديمقراطية والاشتراكية ومن أجل انتصار أفكار الماركسية اللينينية .

ان افكار فلاديمير ايليتش لينين تتجسد فى نشاط الشيوعيين وفى نضال الطبقة العملة وكل الجماهير الكادحة ، وفى التقـدم المظفر للاشتراكية والشيوعية ، وفى التقدم الاجتماعى الذى لايقهر للبشرية .

ان اسم لينين وقضيته سيخلدان للأبد !





(مطابع شركة الاعلانات الشرقية)